قتلني الحب

الكتاب | قتلني الحب

الكاتب: | رحاب علي خليل

الترقيم الدولي: | 978-977-6056-27-5

رقم الإيداع: | 2017/10347

الطبعة الأولى: | 2017

تصميم الغلاف: مروة فتحي

تدقيق لغوي: محمود سلامة

شهرزاد للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

القاهرة

تليفون 01091744511

shahrazadpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رحاب علي خليل

قتلني الحب

رواية

دار شهرزاد للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى أغـلى وأهــم إنســانة في حيــاتي مــن تشــجعني منــذ طفولتــي وحببتني في القـراءة ودفعتني للكتابـة دائـمًا، أمـي الحبيبـة حفظـك الله ورعــاكِ.

وإلى أبي رحمـة الله عليـه فكنـت أتمنـى أن يقـرأ كل مـا كتبتُـه ويكـون بجواري..

وإلى أختـي وحبيبـة قلبـي وإلى زوجـي وحبيبي وشريـك حياتي وإلى ابنتـي وسـبب سـعادتي في هذه الدنيـا ولعائلتي وكل أصدقائي..

وإهـداء خـاص لمـن تشــجعني دائـمًا بنـت خالتـي ياسـمينا، وإلى أكثـر إنســانة تؤمــن بموهبتـي سـلوى سـعد..

وإهداء خاص للكاتبة الشابة لمياء أحمد عثمان

المقدمة

نبني لأنفسنا قلاعًا مليئة بالحجرات المغلقة بالسلاسل الفولاذية نريد أن نختبئ فيها لنتوارى عن أعين البشر عندما نتعرض لصدمة ما أو خيانة من أعز الناس علينا، ولكن لن تنفعنا هذه القلاع بشيءٍ؛ فالقدر يلاحقنا أينما كنا لا مفرّمنه؛ فماذا نفعل؟ هل نستسلم لمخاوفنا ونلجأ للظلام والعزلة أم نلملم أنفسنا ونواجه ونتغلب عل كل الصدمات والجروح ونتجاهلها قبل أن تحطمنا وتقضي علينا؛ فإجابة هذا السؤال تعتمد على قدرة كل منّا على المواجهة للعيش في هذه الدنيا كشخصٍ مستقلٍ ومؤثر أم مجرد تابع لشخص ما ويتوقف مستقبلنا ويتحدد مصيرنا عليه..

ولكني لا أحب أن أكون هذا التابع؛ فلا يحق لأي إنسان رسم حياتي ومستقبلي بما يناسبه فقط سأكون دائمًا الفعل وليس رد فعل حتى لو تحطم وانهار كل شيء من حولي فلن أتأثر بشيءٍ وسأستمر كما أنا.

أحببتـه كثـيرًا، فإنـه فـارس أحلامـي؛ فهـو مـن يدفعنـي إلى الأمـام بنظراتـه السـاحرة؛ فعينـه هـي التـي أسـتمد منهـا كل طاقتـي وقـوتي، برغـم أننـي أراه قليـلًا؛ فهـو يسـكن في العـمارة التـي أمامنـا.

أعـود مـن مدرسـتي سريعًـا كي أراه مـن نافـذة غرفتـي، أذاكـر بـكل إخـلاص واجتهـاد؛ فهـذا آخـر عـامٍ لي؛ فأنـا في الثانويـة العامـة. أريـد أن ألتحـقَ بنفـس كلّيتـه؛ فهـو في كليـة الإعـلام.

أسـهر طـوال الليـل أفكـر فيـه وفي اليـوم الـذي سـوف ألتقـي بـه في الجامعـة وأتحـدث إليـه، فأتمنـى أن أكـون بجـواره طـوال اليـوم. أريـد فقـط أن يشـعر بحبـي لـه وأن يبادلنـي هـذا الحـب.

وتمـرُّ الأيـام وتنتهـي الامتحانـات، وأنـا أنتظـر النتيجـة عـلى أحـرّ مـن الجمـر، وبالفعـل حصلـت عـلى درجـات تؤهلنـي للالتحـاق بكليـة الإعـلام؛ فهـو في السـنة الثانيـة، ولكننـي سـأجتهد في دراسـتي وأتفـوق لأثبـت نفـسي أمامـه لـكي يفخـر بي.

فدخلـت الجامعـة، وهـذا أول يـوم لي في هـذا العـالم الجديـد والغريـب، فأنـا بطبيعتـي انطوائيـة وخجولـة مـن صغـري فـلا أحـب الاختـلاط كثـيرًا بالنـاس، أو بمعنـى أدق، أخـاف مـن النـاس ولا أرغـب بالاحتـكاك بهـم، ولكـن الجامعـة تعتـبر مجتمعًـا مفتوحًـا لـكل الشـخصيات والطبقـات كأي مجتمـعٍ فيـه الخـير والـشر والصـافي والمتعكـر والصـادق والمنافـق.

فكنـت تائهـة في جامعتـي أبحـث فقـط عنـه، عينـي لا تريـد النظـر لأي شـخصٍ يوجـد مـن حـولي فكنـت أعتبرهـا خيانـة لـه، وتجنبـت الحديـث مـع أي شـابٍ زميـل لي في الجامعـة، فأنـا قليلـة الـكلام ولا أحـب تكويـن صداقـات مـع أشـخاصٍ كثيريـن، ولكننـي أحـبُّ النـاس والتعـارف عليهـم فـلا أفهـم نفـسي أحيانًـا.

أريدُ أن أتجرأ وأخرج من قوقعة خجلي، وأتعرَّف على من حولي، وأحيانًا يملؤني الخوف والرهبة من فعل ذلك. فكنت أذهب فقط لأدرس وأحضر محاضراتي، وأتمنى أن ألقاه صدفة في الجامعة، ولكن حتى الآن لم ألتقِ به، فبعد انتهاء اليوم الدراسي أفرّ هاربة إلى البيت سريعًا حيث تستقبلني أمي بكل شوق وحب، وكان أبي يغمرني بالحنان والحب أيضًا.

ومرت الأيام بي وأنا أجتهد في دراستي، وأحببت الصحافة كثيرًا وبدأتْ تظهر موهبتي في الكتابة يومًا بعد يومٍ، وكل أساتذتي شعروا بهذه الموهبة وقاموا بتشجيعي ومدحي أمام زملائي؛ فهذا المدح والتشجيع قد أكسبني الكثير من الثقة بنفسي، وبدأت سلسلة الانطواء والخجل تتفكك حلقاتها مع مرور الوقت؛ فأصبحتُ أجلسُ مع زملائي وأتحدث معهم، وكل من حولي أصبحوا يحبونني ويحترمونني.

وذات يوم كنت أقوم بتحضير ندوة أدبية مع زملائي تضم كل طلاب الكلية لمناقشة المواد الصحفية، وبعد أيامٍ من التحضير والتجهيز انعقدت الندوة في الموعد المحدد لها، وجاء دوري لطرح بعض الأفكار والاقتراحات، وأمسكت بالمايكروفون، وخرج شبح الخوف والتردد من جسدي ليتبخر في سماء القاعة، ولم أشعر بنفسي ماذا قلت وكيف قلته إلا عندما انتهيت من كلامي وسمعت تصفيق كل الحاضرين، والذي استمر كثيرًا، فكان بصري يشرد يمينًا وشمالًا، لا أقدر على التركيز بأي شيء أنظر إليه، فلا أصدق نفسي أنني قلت شيئًا أستحق عليه كل هذا التصفيق الحار.

ولكنني انحنيتُ لهم بكل هدوء خافضة رأسي قليلًا، ولكن عيني ثبتت على شخصٍ واحدٍ ظللت أنظر إليه، ولكن جسدي يتحرك بكل

سلاسة للنزول من على مسرح القاعة، شخص بحثت عنه كل أيام دراستي.. نعم هو «فارس أحلامي»، «حبيبي»، وجدته أيضًا ينظر إليَّ ويبتسم ابتسامةً يملؤها الفخر والإعجاب بي.

فانتهت الندوة، ولكن لم تنتهِ مشاعري المتدفقة من قلبي نحوه ونحو قلبه، ورأيته يقوم من مكانة يتجه إليّ ويمد إليّ يده لكي يسلم عليّ؛ فلم أشعر بجسدي أو بيدي التي بين يديه، ولكن سمعته فقط وهو يقول لي ندى هل فعلًا هذا اسمك ندى؟

فقلت له وأنا تائهة أشعر بحرارة تخرج من جسدي والرعشة بين شفتي «نعم» أنا.

فكانت هذه الندوة أجمل وأهم شيء في حياتي، فهذا اليوم لن أنساه مهما مَرّ عليه الزمن؛ فمنذ هذا اليوم وأنا أقابله يوميًّا، نتحدث في كل شيء عن الدراسة، عن نفسي، وعنه. نجلس كثيرًا بعد انتهاء المحاضرات في الكافيتيريا، نأكل ونشرب، نضحك سويًّا، فأصبح كل شيء بالنسبة لي؛ لكنه لم يشعر بمشاعري، ولم يكتشف حبي له، وأنا بالطبع لم أظهر له أي شيء، أنتظره هو أولا أن يعبّر لي عمّا بداخله، ولكنني كنت أخاف من ذلك كثيرًا، أخافُ من أنه لا يشعر بحبي أو أنه يعتبرني مجرد زميلة فقط مثل بقية الفتيات، ولكنني تعلقت به كثيرًا لا أستطيع الاستغناءَ عنه؛ فاليوم الذي لم أقابلْهُ فيه يمر وكأنه سنة، وأشعر بأنني وحيدة تائهة ينقصني هواء أتنفسه، يتملكني الضيق والملل من كل شيء.

ذات يوم كنا نجلس سويًّا نتحدث عن حال الدنيا وفُرَص العمل المتوفرة وماذا يريد أن يفعل بعد التخرج، فوجدته يكتب شيئًا في ورقة ويعطيها لي كي أقرأها، فنظرت إلى هذه الورقة فوجدتها فارغة

لا يوجد بها أي كلام مكتوب إلا كلمة واحدة فقط في آخر سطرٍ فيها، كلمة انتظرت سماعها منه منذ سنوات، ولكنه اكتفى بكتابتها، وقد أدهشني هذا كثيرًا مع أنني شعرتُ بالسعادةِ عندما قرأتها. كنت أريد أن أسمعها منه وأشعر بها، فكلمة «أحبك» تقال لتُسْمَعَ وتُحَس أولًا ثم تُقْرَأَ، وليس العكس، فعندما صمت وظهر على وجهي ملامح الاندهاش سألني: ماذا بك يا ندي؟ هل أزعجتك هذه الكلمة لهذه الدرجة؟

فقلت له: لا لم أنزعج؛ ولكنِّي تعجبتُ. فقال لي: تعجبتِ أم تفاجأتِ؟

فقلت: الاثنان معًا.

فقال: أنا أحبكِ يا ندى من أول لحظة رأيتك فيها، أحببتك من قبل أن ألقاك بالجامعة، إني أحبك من سنين وأنت لا تعلمين، ولا أستطيع أن أعبّر عن حبي هذا وأنا ما زلتُ لا شيء، ولكني لم أتوقع ردة فعلك هذه وصمتك، وانتظرتُ منكِ -بل توقعت- أنكِ ستبادلينني نفس الكلمة وتعبّري عن مشاعرك نحوي، ولكني تسرعت بتفكيري هذا.

فقلت له بكل هدوءٍ: أنا أيضًا أبادلك نفس الإحساس؛ فأنا أحبك أيضًا، فقال لي: فلماذا إذًا تعجبتِ وسكتِّ عندما نظرتِ إلى الورقة، فقلت له: لأنني كنت أريد أن أسمعها أولًا وأن تعبّر عن إحساسك نحوي بكلام مسموع لكي أشعر بهذه الكلمة وتملأُ قلبي، وتعجبت أيضًا عندما رأيت كلمة «أحبك» في آخر سطرٍ في الورقة وليس في أول سطر منها، فهل هذا يعني أنه يوجد كلام كثير يجب أن يقال قبل هذه الكلمة وأنت لا تقدر على قوله أو كتابته؟

قـال بالفعـل، فأنـت فتـاة ذكيـة يـا نـدى وفهمـتِ بنفسـك مـا كنـت أقصـده مـن تَـركي كل هـذه السـطور بـدون أي كلـمات أو عبـاراتٍ.

قلـتُ: لا أريـدك أن تحـس بالغربـة معـي فأنـا مـن الآن مسـتعدة أن أحتويـك وأفهمـك وأشـعر بهمومـك وأتحملهـا معـك.

قـال: أنـا مـن أسرة بسـيطة جـدًّا، أبي لا يمتلـك شـيئًا ويضـع كل أملـه عـليَّ لـكي أعمـل وأنجـح وأوفـر لأسرتي حيـاة كريمـة، ولي أخـواتٌ صغـيراتٌ يتعلمْـنَ، فهـذا كلـه عـبءٌ عـلى والـدي، فهـو ينتظـر منّـي أن أخفـف عنـه كل هـذه الأعبـاء، وأمـي مريضـة تحتـاج إلى الدواء بشـكل مسـتمر، فظروفي صعبـة يـا نـدى، ولا أمتلـك شـيئًا في هـذه الحيـاة إلا علمـي وكرامتـي، ولا أعـدك بـشيءٍ إلا إني أحبـك وأخلـص لـكِ، لكـن لا تنتظـري منـي شـيئًا آخـر، فأنـا أصارحـك مـن البدايـة، ولـك حريـة الاختيـار أن تسـتمري معـي وتحبينـي؛ أو أن تختـاري البعـد وأن نكـون زمـلاء فقـط، ولكننـي سـأظلُّ أحبـك وسـأعيشُ عـلى أمـل أن تتحسـن ظـروفي الماديـة وأرتبـط بـكِ ارتباطًا رسـميًا وأثبـت لـكِ أننـي جديـرٌ بـكِ.

قلـتُ -وأنـا كلي ثقـة بـه وبحبـي لـه-: لا تقـلْ ذلـك مـرة أخـرى، أنـا أحبـك ولا أقـدر عـلى العيـش بدونـك أبـدًا مهـما كانـت الظـروف، سـأقف بجانبـك وأسـاندك حتـى تتحسـن الأحـوال، فأنـت لا تعلـم مقـدار حبـي لـك، طالمـا نحـن سـويًّا سـتزول كل العقبـات وتتفتـت كل المشـاكل. أنـا أتوقـع لـك مسـتقبلًا مشرِّقًـا مليئًـا بالنجـاح في الصحافـة والإعلام وستكسـب الكثـير مـن المـال وستتحسـن ظروفـك الماديـة وستسـاعد أسرتـك ولـن تقـصر مـع إخوتـك و..

وكنت في هذا الوقت السند والدعم له، ظللت أشجعه وأنير له حياته المظلمة البائسة بالكثير من الأحلام المبهرة والعبارات المشجِّعة التي تدفعه للأمام وتزيل من أمامه اليأس والإحباط؛ فهذا دور كل حبيب أن يقف بجوار حبيبه ويسانده ويدعمه لكي يتخطى كل الأزمات والعقبات.

وكنت أتحمل ظروفه المادية القاسية، فتمر المناسبات علينا كأي اثنين مرتبطين، من المفروض أن يتبادلا الورود والهدايا، حتى لو كانت رمزية، فكنت أرى الورود في يدِ الفتيات في عيد الحب وحقائب الهدايا معهم من أحبابهم، ولا يقدر حبيبي أن يقدِّم لي وردة أو هدية بسيطة في عيد ميلادي، بالرغم من أن كل زملائي يقدمون لي الهدايا أمامه في هذا اليوم، ولكني كنت لا أهتم بمثل هذه الأمور البسيطة، وأرى وجوده معي وحبه لي أغلي عندي من كل الهدايا والورود، فهو لم يكذب علي منذ ارتباطنا وصارحني بظروفه الصعبة، وأنا تقبلت ذلك بكل حب ورضا.

لم تشعر ندى بأي فارق طبقي أو مادي بينهما، فهي كانت من أسرة غنية وذات مستوى اجتماعي ومادي مرموق جدًا، ولم يحرمها والدها من أي شيء منذ طفولتها؛ فهي الطفلة الوحيدة المدللة، حتى عندما كبرت ودخلت الجامعة حازت حبًّا وحنانًا يكفي جميع البشر، ووالدها لم يرفض لها أي طلب مهما كانت قيمته المادية، فكل طلباتها مجابة في الحال.

انتهت الدراسة بالنسبة له، لأنه كان يسبقها بعام، وتخرَّج من الجامعة، وبدأ مشوار البحث عن العمل، فكان لا يهتم بأن يعمل في

مجال دراسته أولًا، فكان يبحث عن مصدر رزق يوفر له راتبًا كبيرًا فقط، فوجد عملًا في شركة كبرى للسلع الغذائية.

وعندما علمت ندى بذلك اندهشت لأن هذه الوظيفة ليست لها علاقة بالإعلام، وكان رده عليها أنها لفترة بسيطة فقط وليست وظيفة دائمة، وأقنعها بأنه يبحث عن عملٍ آخر في مجاله، ولكن وهو يعمل في هذه الشركة لأنها فرصة بالنسبة له الآن، وراتبها مُرْضٍ له؛ فاقتنعت بكلامه وتمنت له النجاح والتوفيق.

تخرجت ندى هي الأخرى بعده بعام، ولكنها كانت تبحث عن عمل في مجال الصحافة والإعلام مهما كان راتبه، أو حتى لو كان دون مقابلٍ. فكانت الكتابة بالنسبة لها هدفًا وطموحًا وأن تكون صحفية ناجحة ومشهورة. وبالفعل عملت ندى بجريدة خاصة كمحررة صحفية، وبدأت مشوارها في مجال الصحافة والكتابة.

مرت ثلاثُ سنوات وندى تعمل وتعمل، وكان حبيبها يقضي كل وقته أيضًا في عمله، وبدأ اهتمامه بها يقل ويتلاشى مع مرور الوقت، فكانت تجلس بالأسابيع لا تعلم عنه شيئًا وهو لا يحاول الاتصال بها أو الاطمئنان عليها أو أن يعرف أخبارها، وعندما تتصل به وتسأله عن بُعده عنها، يتحجج بأنه مشغول، أو أن مديره يكلفه بأعمال كثيرة. حتى يوم العطلة الأسبوعية كانت تنتظر اتصاله ولقاءه، ولكنه يتجاهلها وتنظر إلى بيته من وراء نافذة غرفتها كما تعودت، فتجد كل أسرته موجودة وهو غير موجود بينهم، وتظل واقفة خلف النافذة لساعاتٍ طويلة تنظر لمدخل بيتِه على أمل أن تراه يدخل بيته،

ولكن يتأخر الوقت لمنتصف الليل ولم يصل بعد، ولا يرد على هاتفه، فتيأس وتذهب للنوم.

وفي يوم ما قررت أن تأخذ إجازة من عملها بمنتصف الأسبوع ولم تخبر والداها بذلك، ونزلت صباحًا في موعد عملها، وذهبت للشركة التي يعمل بها، وطلبت من موظف الاستقبال أن يتصل به في مكتبه لتتحدث إليه، وعندما أجابها غضب كثيرًا من وجودها وقال لها: انتظريني في الشارع الذي خلف الشركة وأنا سآتي إليكِ بعد عشر دقائق من الآن. وبالفعل انصرفت من الشركة مسرعة كما طلب منها ووقفت تنتظره، ومرَّ عليها نصف ساعة وهو لم يأتِ بعد؛ فاتصلت به مرة أخرى، ولم يردّ كالعادة.

ولكنها رأته قادمًا إليها؛ فهدئ الغضب الذي كان يتملكها وقتها، وتحولت لإنسانة أخرى مبتسمة وسعيدة برؤيته، ولكنه كان يلتفت حوله يمينًا ويسارًا كأنه لا يريد أن يراهما أحد، وقال: خير يا ندى، ما السبب الذي جعلك تتركين عملك وتأتين إليّ فجأة هكذا؟

ندى: أفتقدك كثيرًا لا أراك ولا أسمع صوتك منذ فترة طويلة، قلقت عليك وأرادت عيني أن تراك ليطمئن قلبي..

قال: أنا بخير، ماذا سيحدث لي؟! ولكن العمل لا يرحمني ليلًا ونهارًا، فمديري يثق بي كثيرًا ويكلفني بكل شيء لأفعله بنفسي. فقاطعت حديثه وقالت: وأين أنا من كل هذا؟ ألم تشتق إليَّ؟! كم مضى من الوقت عليك دون أن تراني أو تتحدث معي وتسأل عن حالي؟! ماذا حدث لك؟ هل توقَّف قلبك عن حبه لي؟ أم أن صورتي محتها الأيام والظروف من عينيك؟

ردَّ عليها بكل برود وبنبرة صوت جافة: العمل.. العمل يا ندى هو الشيء الوحيد الذي يبعدني عنك، لا أريد أن أخسره وأفقد مصدر دخلي؛ فأبذل كل جهدي وأتعب وأسهر فيه لكي أحافظ على راتبي. أفعل كل ذلك من أجلك وليس لفتاة أخرى. وأمسك بيديها بكل قوة ونظر لعينيها وقال: نعم من أجلك أنتِ يا ندى لأكون جديرًا بك. بالفعل لا أراك، لا أتحدث معك، ولكني أفتقدك كثيرًا، أضغط على قلبي حين يشتاق إليك وأغمض عينيَّ لأراكِ أمامي وأستعيد كلامنا وضحكنا وسعادتنا أيام الجامعة؛ فأملأ جسدي بالقوة والطاقة فأعمل وأعمل؛ فكل هذا لأفوز بكِ في النهاية.

وقعت ندى تحت تأثير سحر كلماته كأنها تناولت مخدِّرًا سريعًا تغلغل بداخل وجدانها وعقلها واقتنعتْ بكل كلمة قالها، واعتذرت له لأنها عاتبته بإهماله وبُعده عنها وتركته وذهبت وهي في حالة من الحب والهيام.

لا توجد كلمة أو عبارة تصف حالة ندى وإحساسها في هذا الوقت، ولكن أقل شيء يقال أنها عاشقة، فنسيت كل شيء وظلت تحبه وتعشقه وتنتظر منه كلمة أو لقاء من الحين للآخر.

أصبحت اسمًا كبيرًا في عالم الصحافة في وقتٍ صغيرٍ، وبدأت الأضواء تتسلط عليها، بينما حبيبها يسعى فقط وراء المال والرزق بأي وسيلة ما مشروعة أو غير مشروعة، فكان مبدأه في الحياة «الغاية تبرِّر الوسيلة» فكان يعمل على تكوين علاقات بأشخاص ورجال أعمال ليخدم مصالحة الشخصية ويستفيد من أي شيء أمامه ويستغل أي فرصة لصالحه.

فتحسنت أحواله المادية وقال لندى إنه يريد أن يتقدم لوالدها ليخطبها، وأنه مستعد الآن لمثل هذه الخطوة، ففرحت ندى كثيراً، فهذا اليوم كانت تنتظره منذ سنوات والآن يتحقق حلمها بالارتباط بحبيب العمر.

تحدثت مع والديها بكل صراحة وأخبرتهم بإعجابها به وبأخلاقه، فإنه شاب محترم وطموح ويحبها وسوف يسعدها، وتمت الخطبة، وتقبَّل والداها هذا الشاب هو وأسرته البسيطة، وكانت والدتها معجبة به لأنه يحب ابنتها كثيراً.

وتحقق الحلم وتحول لحقيقة، وعاشت ندى أسعد لحظات عمرها وهي فخورة وسعيدة بخطيبها، ترى فيه كل مميزات العالم بأكمله، حتى عندما تحدث أي مشكلة أو خلاف بينهما ويخطئ في حقها، كانت هي التي تسامحه وتنسى أي إساءة وتعتبر نفسها هي السبب لهذه المشكلة.

وبالرغم من أن ندى أصبحت الصحفية الماهرة ذات الشخصية القوية التي تمتلك القدرة على التحدث مع كل طوائف المجتمع؛ لكن أمامه تتحول لطفلة صغيرة غير قادرة على التحدث أو النقاش، فتستسلم لطلباته فقط وتسامحه في أي شيء وتتعامل معه بكل حب ورومانسية.

ولكنه أصبح إنسانًا انتهازيًا يبحث عن المال فقط، ويعتبر ندى وأسرتها وسيلة لتحقيق أحلامه ليعوض بهما الحرمان والنقص المادي والاجتماعي الذي يعيش فيه مع أسرته الفقيرة المعدمة؛ لأنه طالما دخل أسرتها وأصبح فردًا فيها فسوف يكون له مكانة اجتماعية

مرموقة ومحترمة في المجتمع، فكان أيضًا ينظر إلى عملها ومكانتها الصحفية والأدبية بكل حقد؛لأنه لم يصبح صحفيًا مشهورًا مثلها، مع أن دراسته مثل دراستها، ولكنها نجحت واشتهرت في هذا المجال وهو مجرد موظف في شركة يعبد المال والمصالح، فأصبح إنسانًا مجردًا من كل القيم والمبادئ، فقد نشأ في أسرة فقيرة غير متعلمة يبحثون عن الطعام والشراب فقط.

وعندما تطلب منه شراء أي شيء لتجهيز بيت الزوجية الذي سوف يجمع بينهما، كان يوهمها بأنه يبذل قصارى جهده في العمل ولكن المقابل المادي قليل وأنه يساعد في البيت وفي مصاريف دراسة إخوته وعلاج والدته المريضة دائمًا، فكانت تشفق عليه وتتحمل هذه الظروف وأحيانًا تعطيه المال ليشتري دواءً لوالدته.

ما كل هذا الحنان والعطف والعطاء والتضحية يا ندى؟ إلى متى تظلين هكذا؛ تعطين وتعطين دون مقابل، تضحي من أجله وهو لا يفعل شيئًا سوى الوعود التي لا تتحقق، حتى كلمة أحبك توقف عن قولها، إلى متى يا ندى؟ ومتى ستنكشف لكِ حقيقته؟ وهل ستصدقين هذه الحقيقة أم تصدقينه كالعادة وتكذّبين كل من يعلم بأفعاله المشينة هذه؟

ظلت ندى على هذا الوضع الذي لا يتغير فيه شيءٌ ولا يجدّ جديدٌ عليه لمدة خمس سنوات، نفدَ صبر الأب الحنون وبدأت مشاعره تتغير نحوه، وقلَّت ثقة الأم تجاه هذا الشاب المستهتر. جلس والدها معه لكي يعلم ما أسباب عدم اتخاذ أي خطوة إيجابية أو شراء بيت الزوجية إلى الآن؛ فبدأ الشاب في الاعتذارات وقول مبررات كثيرة، وأنه يمر بأزمة مالية، وأن الشركة قللت راتبه، وظل يَعِد والدها بأنه

سيفعل كل شيء لإرضائهم وأن هدفه الوحيد في الحياة إسعاد ابنتهما، وأنه يريد الزواج بها والعيش معها طوال العمر في بيتٍ واحدٍ في أقرب وقت، ولكن ظروفه المادية متعسرة هذه الفترة، وطلب منه إعطاءه فرصة أخيرة لإثبات وعوده وكلامه.

فعندما ذهب هذا الشاب المخادع إلى بيته جلس يفكر وقتًا طويلًا وقال لنفسه إنه لم يكن يتوقع هذا الكلام من والد ندى، وكان يطمع ويتمنى أن يعرض عليه المساعدة المالية بعد كل هذه السنوات التي مرت على الخطبة، أو أن يتوسط له عند أحد أقاربه من رجال الأعمال ليعمل في إحدى شركاتهم الكبرى، ولكن كلامه خيَّب ظنه وضيَّع طمعه؛ فقد كان يخطط لحياة سهلة دون تعب وزواج من غير تكاليف أو أعباء مادية، فظل يفكر طوال الليل ماذا سيفعل مع ندى وأسرتها، فكل المال الذي يحصل عليه من عمله وصفقاته المشبوهة كان يدخره ويصرف منه جزءًا صغيرًا في شراء ملابس لكي يحسّن من مظهره أمام الناس، ويُخرِج نفسه من بؤرة الحرمان والفقر الذي يحيط به.

كان شخصًا محظوظًا في كل شيء، يحصل على كل ما يريده دون أن يكشف أحد حقيقته الماكرة، فكان يجلس في عمله، وكان يتحدث مع صاحب الشركة في مكتبه، ودخلت فتاة جميلة وجذابة؛ فنظر إليها بنظرة كلها إعجاب وتحديق شديد في ملامحها. فهذه الفتاة هي ابنة صاحب الشركة. جلست لتتحدث مع والدها وهو مازال موجودًا في المكتب وذهنه بدأ في التفكير والتخطيط، وتخيل أشياء وأحداث يتمنى أن تتحقق وتحدث له في المستقبل.

نظرت الفتاة في عينيه وأحسَّت بأنه شارد الذهن، أو أنه يفكر في شيء ما، فشعرت بالخجل منه واعتقدت أنها أزعجتهما وشغلتهما عن العمل، فاعتذرت لوالدها الذي قال لها: نحن انتهينا من مناقشة هذا الموضوع. طلب منه أن يعطيها ملفات مهمة تخص منتجات معينة لأنها ستصبح المسؤولة عن قسم العلاقات العامة في الشركة.

خرجا من المكتب سويًّا، وكانت تنظر ليديه، ووجدت في إصبعه خاتم الخطبة، وهو لاحظ ذلك بسرعة شديدة وقال لها وهو يبتسم: إنني لست مرتبطًا لكنني أضعه للتفاؤل وجلب الحظ فقط، فأُحرجَت كثيرًا من كلامه هذا وقالت: هذا شيء يخصك وحدك وأنا لم أسألك عن شيءٍ، فأنا موجودة هنا للعمل فقط والاطلاع على كل الملفات والأوراق المهمة.

قال لها: طبعًا.. لا تقلقي فأنا هنا لمساعدتك وتلبية كل طلباتك وأوامرك في الحال.

في هذا الوقت كانت ندى تفكر في الظروف التي تمر بها وخطيبها هذا الذي لا يحرك ساكنًا في وضعهما الحالي كأي اثنين مخطوبين؛ فدائمًا تفكر وحدها شاردة حزينة وبدأ عدم التركيز في عملها يزيد ويظهر على وجهها القلق والتوتر؛ فكل من حولها لاحظ ذلك فكان شيئًا جديدًا عليهم، فندى كانت مفعمة بالطاقة والحيوية والتفاؤل وتدعو من حولها للعمل وحب الحياة والاجتهاد، ولكن تملَّكها شعورٌ بالانهزامية والإحباط وشعرت أنها تخسر حبيبها وأن الأيام والليالي تبعدهم والخطبة هذه كأنها لم تكن.

طلبت منه أن تقابله لتتحدث معه في مكانهما المعتاد أمام النيل

الـذي يجمعهـما ويشـهد عـلى حبهـما وكلامهـما ووعودهـما طـوال هـذه السـنوات التـي مـرت عليهـم. وعندمـا جلسـت نـدى؛ كان أول شيء قالتـه لـه: مـاذا سـنفعل في حياتنـا هـذه؟ هـل سـنظل مخطوبـين فقـط طـوال العمـر أم يوجـد جديـد تريـد أن تخـبرني بـه؟

كان صامتًـا لا ينطـق حرفًـا واحـدًا، ثـم نظـر إليهـا وهـو يحـدق بعينيهـا وقال:

أفهـم مـن كلامـك هـذا أنـك مللـتِ مـن ارتباطنـا أو أنـك لا تثقـين بي، بعـد كل هـذه السـنوات تحاسـبينني وتسـألينني مـاذا فعلـت لـك ومـاذا سـأفعل؟! فأنـتِ لا تعلمـين مقـدار التعـب والشـقاء الـذي أعانيـه وأبذلـه في حيـاتي، لقـد تغـيرتِ يـا نـدى وأصبحـتِ إنسـانة أخـرى لا أعلمهـا. كنـتِ تحبينـني بجنـون وتدفعينـني للأمـام وتقفـين بجانبـي وتتفهمـين ظـروفي ومشـاكلي، والآن بعـد كل هـذه السـنوات تسـألينني مـاذا سـأقدّم لـكِ؟! انتظريـني غـدًا، سـأقابل والـدك وحينهـا سـتعرفين مـاذا سـأقدِّم لـك.

وقـام مـن مكانـه وتركهـا بـكل قسـوة وجفـاء وغـادر في لمـح البـصر. تعجبـت نـدى، فهـي لم تخطـئ في حديثهـا معـه، وذهبـت هـي الأخـرى يحيـط بهـا إحسـاس قلـق وخـوف حتـى وصلـت لبيتهـا وأخـبرت والديهـا بمـا حـدث بينهـما، فـكان رد والدهـا أنـه مسـتعد لمقابلتـه غـدًا ليعلـم مـا ينـوي عليـه. وجلسـت والدتهـا بجوارهـا وضمّتهـا لصدرهـا لتهدئتهـا وحضنتهـا بـكل حـب وحنـان.

كان هـذا الشـاب المخـادع سـعيدًا جـدًّا بمـا آلـت إليـه الأمـور بينـه وبين نـدى، وظـل يفكـر بـكل خبـث ودهـاء ليسـتغل مـا حـدث اليـوم لصالحـه، وقـال لنفسـه الأمـر لا يسـتحق منـى الذهـاب لمنزلهـم، فوقتـي سـيضيع في

أشياء تافهة، سأكتفي فقط بمكالمة هاتفية للتحدث إليهم.

رنَّ هاتف منزل ندى، ورفع الأب السماعة على أذنه، وعندما رأته صامتًا ممسكًا بالسماعة كأنه ممسك بجمرة من النار واتكأ فجأة على المقعد الذي بجانبه وهو يفقد توازنه انزعجت، وأسرعت لتسنده وتأخذ بيده قبل أن يقع على الأرض وسألته وفي صوتها بحة مكتومة في حلقِها: ما بك يا أبي إلى من كنت تتحدث؟ وماذا سمعت فعل بك هذا؟

خرجت الأم من غرفتها ووجدتهما هكذا، وسألت ندى: ماذا يحدث يا ابنتي؟

نظرت ندى لعين والدها فوجدت الإجابة بين نظراته إليها، واستشفت من دموعه التي ملأت عينيه أن المكالمة هذه تخصها وتقرر مصيرها ومستقبلها، فتماسكت وسألته: لماذا تبكي يا أبي لا يوجد شيء في هذه الدنيا يستحق دموعك ولا يوجد شخصٌ في هذا العالم القاسي يستحق البكاء عليه.

ضمَّها والدها بشدة لصدره وجلست الأم بجوارهما وسألتهما: ماذا يحدث يا ابنتي؟

ندى: حدث يا أمي الذي كان يجب أن يحدث مني أنا أولًا ومنذ وقت طويل، ولكن لا يوجد شيء يستحق البكاء عليه.

حاول الأب أن ينهض، وأجاب زوجته بكل حزن وحسرة على ابنته وأخبرها. وكانت ندى تنظر لفمه تنتظر كلماته وهي تخرج من بين شفتيه لتسمعها كأنها قطرات من المطر تنزل فوق رأسها وحدها من سحابه منخفضة؛ وهي وحيدة في أرض خالية من البشر.

الأب: هـذا خطيبـك يـا ابنتـي كان ينهـي خطبتكـما ويسـحب وعـوده وكلامـه معنـا.

هـذه العبـارة دخلـت مـن أذنهـا كالرصـاص المنهمـر لرأسـها. فصرخـت الأم: مـاذا تقـول؟ مـاذا حـدث بينكـما لـكي ينهـي الخطبـة هكـذا بعـد كل هـذا الحـب المتبـادل كل هـذه الأعـوام الماضيـة؟

الأب: لا داعـي لمثـل هـذا الـكلام الآن ولا تلومـي ابنتـك عـلى شيء؛ فهـو الـذي سـيندم عـلى مـا فعلـه معهـا والتخـلي عنهـا هكـذا بهـذه الطريقـة الوقحـة المتبجحـة.

دخلـت نـدى غرفتهـا وهـي مصدومـة حائـرة تسـأل نفسـها أمـام المرآة: بعـد كل هـذا الحـب الـذي أحببتـه لـه وبعـد كل هـذا الوفـاء والإخـلاص والتضحية؟

كنـت أفعـل كل شيء لأرضيـه؛ فمَـن المخطـئ؟ أنـا أم هـو؟! مـن منـا السـبب لفشـل علاقتنـا بعـد كل هـذه السـنين، عمـري قـد ضـاع بجـواره هبـاءً، هـل لا أسـتحق حبـه؟! هـل أنـا إنسـانة سـيئة لأخـسره ويتركنـي بهـذه الطريقـة دون التحـدث معـي ومواجهتـي؟! إنـه تجاهَلنـي وتجاهـل كل هـذه السـنوات والوعـود وكلـمات الحـب والعشـق بيننـا التـي كانـت تحيينـي وتعطينـي القـوة والثقـة بالنفـس كأنثـى لهـا رجـل يحبهـا، فحبـه مـن جعـل منـي الصحفيـة الناجحـة والمشـهورة، كان حبـه يدفعنـي للأمـام. أتكـون النهايـة هكـذا؟! هـل أنـا بـكل هـذا السـوء وأنـا السـبب في تدمـير هـذا الحـب الجميـل بيننـا؟! كل هـذا لأننـي سـألته مـاذا فعـل لنكـون سـويًّا في بيـت واحـد نمـلأه حبًـا ومشـاعر دافئـةً تحمينـا مـن غـدر الأيـام وقسـوة الزمـن!

ظلت ندى هكذا طوال الليل تحدِّث نفسها وتلومها وتقسو عليها وتحسسها بالذنب وأنها هي المخطئة، وأنه يجب عليها أن تفعل شيئًا وتصلح ما أفسدته بيديها وتستعيد حبيبها مرة أخرى. نامت والدموع تملأ عينيها وتغرق وسادتها وشعور بالندم يسيطر عليها.

في اليوم التالي عندما أشرقت الشمس وسطع ضوؤها ذهبت ندى مسرعة إلى حبيبها في عمله دون إخبار والديها، ولكنه لم يكن موجودًا أو لم يأتِ بعد، فجلست تنتظره وهي مرتبكة مشتتة الفكر لا تعرف ماذا ستقول له وكيف سترضيه كالعادة، وعندما جاء ونظرت إليه لم تقدر على التحكم في دموعها التي انهمرت كالشلال من بين جفنيها وبدأت في الاعتذار له وقالت: لم أقصد أن أجرح مشاعرك الرقيقة وأتهمك بالتقصير وأشكك في حبك لي، ولكنني كنت أتحدث معك لنأخذ خطوات إيجابية لإتمام زواجنا. فاستغل خطيبها ذو القلب الأسود موقفها هذا وضعفها وذُلها أمامه هكذا وأدار وجهه وقال لها بكل حدة: أصبحتِ يا ندى إنسانة جامدة مادية مجردة من المشاعر والإحساس تبحثين فقط عن الزواج وليس استمرار حبنا الكبير الطاهر، تريدين فقط إرضاء أهلك والآخرين على حساب كرامتي ومشاعري. أنا للأسف مصدومٌ فيكِ وفقدت ثقتي بكِ ولا أريد أن أستمر في علاقتنا هذه. لقد أفسدتِ كل شيء بنفسك، وأنهيتِ هذا الحب وحولتِه إلى روتين ومظهر اجتماعي ليس أكثر، كل ما يهمك هو الزواج سريعًا فقط وأشياء روتينية ليس لها قيمة أمام حبي وعشقي لكِ فأرجوكِ اخرجي من حياتي ودعيني أنساكِ وأتخلص من حبكِ الذي يملأ قلبي المسكين هذا.

ترجته ندى أن يعطيها فرصة أخرى ويسامحها وهي على استعداد لفعل أي شيء يرضيه ولكن لا يتركها هكذا. وكان رده عليها: انتهى كل شيء يا حبيبتي ولا يفيد الأسف والاعتذار بشيء الآن، وأتمنى لكِ التوفيق والنجاح في حياتك، ولكن لا تبحثي عني أو تتوهمي أنه من الممكن أن أسامحك وأعود إليكِ. ابحثي عن شخصٍ آخر لا يهمه حب ولا مشاعر ويكون الضحية الثانية لكِ.

ندى: يصعب عليّ أن أسمع منك هذا الكلام، إنك تذبحني به وتنهي حياتي وروحي تحت قدميك، فأنت حبيبي وأنا لم أحب شخصًا سواك، وأحبك وسأظل أحبك.

قال: عذرًا يا آنسة ندى، فهذا مكان للعمل وغير مناسب للتحدث في أيّ أمورٍ شخصية، وأتمنى ألَّا أراكِ ثانيةً، وتذكري جيدًا أن علاقتنا انتهت للأبد وأنتِ السبب في ذلك، وأرسلي تحياتي وسلامي لعائلتك الكريمة.

خرجت ندى من باب الشركة تاركةً حبَّ حياتها وحُلم عمرها يضيع ويتبخر بين جدران وطوابق المبنى العالي هذا. وكانت الذكريات تمر أمامها كموج البحر الذي يكون نهايته عند صخرة عالية حين يصطدم بها بكل قوة وتتفرق الأمواج بعدها لتهدأ ثم تتجمع مرة أخرى وتعود تصطدم بنفس الصخرة الثابتة مكانها.

كانت تريد أن تلقي بنفسها في هذا البحر الغاضب ذي الأمواج الهائجة التي تأخذ كل شيء في طريقها وتلقي به إلى الهلاك، تريد أن تذهب بعيدًا حيث لا يراها أي إنسان أو يسمعها تصرخ وتصرخ بشدة حتى ينتهي الألم والحسرة من قلبها.

تريد أن تبكي لكي تلمس دموعها بأصابعها على وجهها لكي تتأكد أن ما سمعته من حبيبها كان حقيقة وليس كابوسًا لعينًا رأته في منامها.

مرت الأيام بندى وهي حزينة محطمة الوجدان، محبطة كارهة للحياة، انطوائية وحيدة، تركت عملها وابتعدت عن الجميع. ظلت وحيدة في غرفتها نائمة طوال الوقت لا تريد التحدث مع أي شخص، تأكل وتجلس بمفردها وتعشق الظلام والصمت، فحين تدخل والدتها أو والدها غرفتها للاطمئنان عليها تغمض عينيها كأنها نائمة، وترفض الحديث معهما، فأصبح عالمها عالم الأحزان والندم، وظلت على هذا الحال أيامًا وشهورًا طويلة حتى تفاجأت بزيارة منى أقرب صديقاتها بعد الكثير من الاتصال بندى التي كانت ترفض رؤيتها أو الرد عليها، ولكنها قررت أن تزور ندى رغمًا عنها واقتحمت غرفتها وجلست بجوارها وقالت: إلى متى ستظلين هكذا، لستِ أول فتاة تنتهي خطبتها، فأنتِ جميلة وناجحة وأي شاب يتمنى ويحلم بالارتباط بكِ، أما هو فإنسان لا يستحقك وتركك وتخلى عنك، فقاطعتها ندى وقالت: أنا السبب، فأنا من جعلته يكرهني ويتركني هكذا.

فقالت منى: لا يا ندى أنتِ لم تقصري معه في أي شيء طوال ارتباطكما، وأنا أشهد على ذلك، ولكنه شاب انتهازي كذاب، يبحث فقط عن مصلحته، وقد جئت إليك اليوم لأخبرك بشي حدث يجب أن تعرفيه مني وليس من شخص آخر..

ندى: أعرفُ ماذا؟

منى: لقد تزوج ابنة صاحب الشركة التي يعمل بها بالأمس على مسمع ومرأى من الجميع.

كان هـذا الخبر صادمًا لنـدى، وعقلهـا رفـض تصديقـه، وظلـت تكـذِّب كلام منـى وتقـول لهـا: لا يمكـن أن يفعـل ذلـك، بالتأكيـد كان شـخصًا آخـر وليـس هـو.

ولكـن منـى كانـت تحمـل معهـا صـورة لـه في يـوم زفافـه مـع عروسـه، وأعطتهـا لنـدى لتتأكـد بنفسـها وتـراه كيـف كان يضحـك وتبـدو عليـه الفرحـة والسـعادة ممسـكًا بيـد عروسـه ويقبّلهـا.

منـى: أفيقـي يـا نـدى مـن الوهـم الـذي تعيشـين فيـه، فهـذا الشـخص كان يبحـث عـن مصلحتـه فقـط ويخدعـك ويسـتغل مشـاعرك وقلبـك الرقيـق البريء هـذا. توقفـي عـن التفكيـر فيـه وابحثـي عـن نفسـك مـرة أخـرى ولملمـي مشـاعرك ومـا تبقـى منهـا واسـترجعيها بداخـل قلبـك وعـودي لعملـك ولمسـتقبلك، فـلا شيء سـيفيدك غـيره.

جلسـت تنصحهـا وتحـاول أن تعيـد لهـا ثقتهـا بنفسـها مـرة أخـرى وتقنعهـا بأنهـا كانـت لعبـة يتسـلى بهـا طـوال هـذه الفـترة حتـى وجـد لعبـة أخـرى غيرهـا وذهـب إليهـا بهـذه السرعـة.

قـررت نـدى بعـد كل مـا مـرت بـه مـن ألمٍ وعـذابٍ وجـرحٍ وخـداعٍ أنهـا لـن تثـق بـأي شـخص في هـذه الحيـاة، وأنهـا سـوف تقتـل أي مشـاعر أو أي إحسـاس بداخلهـا نحـو أي شـخص، وأنهـا لـن تعطـي قلبهـا مـرة أخـرى لأي إنسـان، وسـتكره الحـب وتقـضي عليـه قبـل أن يبـدأ.

يـا للعجـب مـن هـذه الدنيـا، إنهـا ملونـة بالزيـف الـذي يبهـر العـين ويوهـم العقـل ويسـيطر عـلى القلـب ويسـتحوذ عليـه ليتمكـن منـه ليخدعـه، فهـو مجـرد وهـم وسراب. لا وجـود للمشـاعر الحقيقيـة والأحاسـيس النقيـة.

سأسافر إلى مكان بعيد لا أعرف أحدًا فيه ولا أحد فيه يعرفني. سأبدأ حياة جديدة وأترك حطام الماضي خلفي. سأستجمع نفسي وكرامتي وأبدأ أن أحيا مرة أخرى، ولكن يصعب عليّ أن أترك أغلى الناس وأبتعد عنهم. أبي وأمي سيحزنان كثيرًا لو علما بأني أريد السفر والابتعاد، ولكن هذا هو الحل بالنسبة لي. سأسافر على أمل أن أستعيد نفسي مرة أخرى، وأعود لهم «ندى» ابنتهما القوية الواثقة من نفسها.

استجمعت نفسها وقوّتها وجلست لتخبرهم بقرار سفرها، فصمت والدها، ولكن قلب والدتها لم يقدر على الصمت مثله، فقالت: لا يا ابنتي.. لا تفكري بهذه الطريقة، فالبعد والسفر ليس الحل، فنحن لا نقدر على فراقك أبدًا، فأنت كل شيء بالنسبة لنا في هذه الدنيا.

نظرت إليهما بكل حزن وقالت: وأنا سأتألم أكثر منكما، ولكن هذا الحل الوحيد أمامي الآن لكي أداوي جروحي وأسترد نفسي التي ضاعت مني.

كان رد والدها: سافري يا ابنتي إلى أي مكانٍ تريدينه، وافعلي ما تشائين وترغبين به، فأنا أتمنى أن تملأ نفسك وروحك السكينة ويطمئن قلبك، ولكن إلى أين تريدين الذهاب؟

فأجابته: أحد أصدقائي في الجريدة يعرف رجل أعمال كبير يمتلك شركة سياحية في لندن، فيمكن أن يوفر لي عملًا.

قالت الأم: شركة سياحية؟! كيف يا ندى وأنت صحفية وليس لكِ علاقة بهذا المجال؟! فبهذا العمل ستضيعين ما وصلتِ إليه من شهرة ونجاح في مجال الصحافة يا ابنتي.

قالت ندى: نعم يا أمي.. فأنا أريد أن أعمل في شيء جديد أو في مجال ليس له علاقة بعملي السابق أو دراستي. أريد أن أبدأ حياة جديدة في كل شيء، ومهما كانت التحديات والعقبات التي ستقابلني في هذا العمل فأنا سأتحدى نفسي من جديد وسأنجح وأحقق ذاتي مرة أخرى.

مرت الأيام واقتربت لحظات الوداع والسفر. تنتظر ندى الحياة الجديدة التي تتشوق إليها لتجد نفسها جالسة في مقعد الطائرة وتضع حزام الأمان حول خصرها وتحلّق في السماء، لتودع أرض الماضي الأليم، وتنتظر الهبوط لتصل إلى أرض مستقبل جديد تبنيه وحدها وبنفسها وبإرادتها، دون أن يشاركها أي شخصٍ فيه.

نزلت من الطائرة تتنفس هواءً جديدًا بكل عمق، تملأ به صدرها، يتغلغل بداخلها ليمحو أي شائبة من الماضي ويقضي على أي ترسبات بداخلها، تستقبل حياة جديدة في مجتمع جديد ومختلف في كل شيء، لم تعرفْ عنه شيئًا سوي القليل. تريد أن تكتشفه بنفسها دون مساعدة أي أحدٍ.

قابلت الشخص المكلَّف من الشركة لاستقبالها والذي سيوفر لها المنزل الذي ستعيش فيه. أخذها أولًا إلى مقر الشركة لكي تتعرف على مكان عملها الجديد، وقابلت صاحب العمل، كان رجل أعمال مصريًّا ناجحًا جدًا في مجاله. رحب بها وبوجودها في الشركة وقال لها: أنا من قرّائك يا أستاذة ندى ومعجب جدًّا بأسلوب كتابتك، وأتابع كل موضوعاتك الصحفية لأن أسلوبك سهل ومتميز.

شكرته كثيراً على هذا الإطراء، ووجدت في عينيه الكثير من

التساؤلات. قالت له: أعلم أنك تريد أن تعرف ما سبب تركي لعملي وتخلّيً عن كل النجاحات التي حققتها في حياتي المهنية بالصحافة والكتابة ولماذا جئت إلى هنا للعمل بمجالٍ آخر؟ ولكن لدي أسباب كثيرة لذلك، وأريد أن أحتفظ بها بداخلي، ولا أرغب في التحدث مطلقًا عن هذا الموضوع أو أن أشاركه مع أحدٍ ولي طلب بسيط.. لا أريد أن يعلم أحد في الشركة عن عملي السابق أو أي شيءٍ عني.

طمأنها ووعدها بعدم التحدث لأي شخص عن أي شيء خاص بها، وأنه سيكون بمثابة الأب وهي مثل ابنته، وسيوفر لها أي شيء تحتاجه، وفي أي وقت سيكون بجانبها وعونًا لها.

ذهب معها إلى مكان إقامتها، فوجدت فتاة أخرى تسكن به، فقدّمها لها: إنها سارة، فتاة مصرية هي الأخرى تعمل معنا في الشركة. ستكون زميلتك في العمل وشريكتك في هذا المنزل.

ألقت عليها التحية ورحّبت بها سارة كثيرًا، ولكن ندى كان ينتابها الخجل الشديد، فكانت تتوقع أنها ستعيش في هذا المنزل بمفردها، فهي لا تريد أن يشاركها أي شخصٍ فيه، ولا يتدخل أي أحدٍ في حياتها ولا يعلم عنها شيئًا. ولكنها تقبّلت هذا الأمر كأنه شيءٌ مؤقتٌ حتى تقدر على العيش في هذا البلد الغريب، ثم تعتمد على نفسها وتعيش بمفردها في مكان آخر.

دخلت إلى غرفتها لترتاح من تعب السفر، ودقت سارة الباب لتستأذن للدخول بكل هدوء، وسألتها إذا كانت تحتاج لأي شيء منها قبل أن تنام، فشكرتها ندى وقالت لها: أنا سوف أنام الآن. وكانت هذه الإجابة السريعة كوسيلة للهروب من التحدث إلى سارة حتى لا تسألها عن أي شيء خاص بها أو أي تفاصيل متعلقة بحياتها.

فهذه أول ليلة تقضيها بعيدًا عن والديها، ولكنها قامت بالاتصال بهما لطمأنتهما عليها وحدّثت والدتها بنبرة صوت كلها ثقة وصمود، ولكن قلبها كان يدق بشدة دقات متلاحقة ومتسارعة وراء بعضها البعض، فكانت ستقول لها: أفتقدك يا أمي كثيرًا واشتقت لأبي؛ لكن منعت نفسها وتماسكت وامتنعت عن قول هذه الكلمات أو التعبير عن كل مشاعر الشوق والخوف من المستقبل، وودعتهما بقبلةٍ كانت تبعث من خلالها كل الحب والشوق إليهما.

جلست تواجه نفسها وتلومها: ماذا بك يا ندي؟ هل شعرتِ بالندم من أول ليلة، أنت التي قررتِ الرحيل عنهما واخترتِ السفرَ والهروبَ عن البقاء بجوارهما. اصمدي يا ندى وتحملي لكي تكفري عن حماقتك السابقة، واجهي مستقبلك بكل ما يحمله من غموض، وتحملي الشوق والحنين إليهما، فأنت تمرين بأصعب فترة في حياتك وهي التحرر من كل السلاسل والقيود التي أسرتِ بها نفسك. أنت وحدك الآن، أثبتي لنفسك أنكِ قادرة على الاختيار بعيدة عن أي ضغط نفسي أو الاستسلام لأي شخصٍ، فلا تندفعي وراء مشاعرك مرة أخرى، فيكفي ما عشتِه.. يكفي.

كانت هذه الكلمات «المسكّن» أو «المخدّر» الذي كانت تتجرعه ندى كل يوم قبل أن تبدأ يومًا جديدًا في هذا العالم الغامض بالنسبة لها.

مرت بها الأيام والشهور وهي تعمل وتعمل وتعمل، فأحبت هذا العمل الجديد وأخلصت له كالعادة، فهي المميزة في كل مكانٍ تعمل به، وانبهر بها صاحب الشركة وأحبَّها زملاؤها وشجعوها ودعموها ودفعوها للتقدم إلى الأمام.

وكانت تذهب لحضور كافة المؤتمرات والندوات لكي تلم بكل المعلومات التي تخص مجال السياحة، وكان زملاؤها عندما يرونها انطوائية ولا تريد التحدث لأي شخصٍ يخبرونها بأن هذا يعتبر في أورُبّا شيئًا غريبًا، ويصفون الشخص الهادئ غير الاجتماعي بالمريض النفسي، أو الإنسان غير السوي. وكانوا يقولون لها ذلك ليس لإحراجها أو نقدها، ولكن للخوف عليها وحمايتها من أي اتهامٍ ستتعرض له من الآخرين بأنها إنسانة مريضة نفسيًّا.

فكان عليها أن تندمج مع هذا المجتمع لكي لا يؤذيها أي شخصٍ أو يجرح مشاعرها، فأحيانا نحن البشر نفعل أشياء غير مقتنعين بها، ولا نريد أن نقوم بها، ولكن نفعلها لكي نحافظ على وضعنا الاجتماعي وشكلنا بين الناس، فإنه ليس بخداع أو بنفاق، ولكن يعتبرها الكثير ذكاءً اجتماعيًّا. أصبحت ندى مميزة وناجحة، وأيضًا محبوبة من الجميع، فأي أحدٍ كان يلتقيها ويتحدث معها كان يعجب بطريقة تفكيرها وكلامها الرائع، ولكن كل هذا الكلام وهذه العبارات كانت تخفي وراءها أسرارًا كثيرةً، فلا يوجد إنسان في هذه الدنيا غير قادر على التمثيل وإظهار عكس ما هو عليه ولكن الفارق هنا هو الاستمرار في ذلك.

فيوجد شخصية إيجابية وأخرى سلبية، وهناك إنسان في الواقع قلبه مجروح ومفتت من كثرة الألم، ويريد أن يخفي ضعفه عن الآخرين، وهناك آخر مجروح وحزين هو أيضًا ولكنه يفضّل المواجهة وله قدرة التغلب على الصعاب، وهذا يجعله يكتسب ثقة وقوى كبيرة داخله، ولكن ندى أصبحت شخصًا ضعيفًا داخليًا، ولكنها تُظْهِرُ

عكس ذلك لمن حولها، فهذه الدنيا لا تعترف بالضعفاء مسلوبي الإرادة، تعترف فقط بالإنسان القوي الصامد الذي لا يهزم أبدًا ولا تقهره الأيام والظروف.

تجلس ندى ليلًا بمفردها تسترجع ماضيها بكل ما فيه وتستعيد وتتذكر كل كلمة دارت بينها وبين خطيبها السابق، فكانت تعتبره كل شيء بالنسبة لها، وكان أقرب إليها من روحها، ولكنها حين تذكرت آخر حديث جرى بينهما؛ وقفت أمام المرآة وقالت:

سأتغلب على أي شيء يجعلني ضعيفة. لن أعود مرة أخرى مغلوبة على أمري. كرهت هذه الإنسانة ونبذتها وقضيت عليها داخلي.

ذات يومٍ أبلغتها سارة أن رجل أعمال مصري -هنا بلندن- سيقيم حفلًا غدًا، ودعا كل من يعمل بالشركة للحضور، فسألتها ندى هل هذا الحفل متعلق بالعمل أم للترفيه فقط؟

سارة: وما الفرق؟ فإنه حفل في النهاية.

ندى: لو كانت للعمل فقط فسوف أذهب، ولو كانت للترفيه فلا داعي لوجودي هناك فستجدين من حولك يبتسمون ويضحكون في وجوه بعضهم البعض ويتبادلون أحاديث سطحية تحمل الإطراءات الكاذبة، وكل هذا لتحقيق مصالح ومكاسب شخصية فيما بينهم.

سارة: تفسيرك زائد عن اللزوم، فدعوة لحضور حفلٍ بالطبع لا تستحق كل هذا التفسير والتحليل. أنتِ تفلسفين كل حدث يقع من حولك، فأنت مثالية في مجتمع تنتهي وتتلاشى فيه المثالية، وغلب عليه الاستغلال والانتهازية.

في هذه اللحظة كانت ندى تريد أن تقول لها: أنا أكثر شخصٍ

تـذوق مـرارة الاسـتغلال والانتهازيـة حتـى اكتفيـت منهـما، ولكـن قالـت لهـا: اذهبـي أنـت واسـتمتعي بوقتـك فأنـا لا أريـد الذهـاب.

سـارة: كـما تريديـن، ولكـن علينـا أن نـذوق المُـر لنعـرف طعـم الحلـو ونقـدر أن نفـرق بينهـما ونتعـرف بـالأشرار قبـل الأخيـار لكيـلا تصدمنـا أفعالهـم دون أن نتوقعهـا منهـم. وفي النهايـة؛ أنـت صاحبـة القـرار، وأمامك الوقـت الـكافي لتأخـذي قـرارك، وكلامـي هـذا لا يعنـي أن تتنـازلي عـن مبادئـك وأخلاقياتـك، ولكـن مجـرد وجهـة نظـر ليـس إلا، والآن تصبحـين عـلى خـير.

ندى: وأنت من أهل الخير.

ونامـت هـي الأخـرى ورأت حُلـمًا جميـلًا في منامهـا، اسـتيقظت منـه مبتسـمة ونشـيطة، وجـرت عـلى النافـذة لتفتحهـا وتستنشـق نسـيم الصبـاح بابتسـامةٍ صافيـة، لأنهـا رأت في حُلمهـا والديهـا يجلسـان معهـا يضحـكان في جـو مـليءٍ بالحنـان والـدفء الـذي تفتقـده الآن، ولكنهـا تركـت هـذا الحُلـم الجميـل، وتمنـت أن يـأتي إليهـا كلـما أغمضـت عينيهـا، وارتـدت ملابسـها وذهبـت إلى عملهـا مثـل كل صبـاح، ثـم طلبهـا المديـر للتحـدث معهـا في مكتبـه لتذهـب معـه للحفلـة مسـاءً، واعتـذرت لـه بـكل لباقـة، ولكنـه صمـم عـلى ذهابهـا بصفتهـا موظفـة مهمـة ومميـزة في الشركـة، وأوضـح لهـا أهميـة حضورهـا لمثـل هـذا الحفـل، فإنـه وسـيلة لتبـادل الخـبرات وفتـح مجـالات عمـل بـين الـشركات ورجـال الأعـمال بعضهـم البعـض. وبعـد إقناعهـا بـضرورة حضورهـا وعدتـه بأنهـا سـتذهب في الموعـد المحـدد للحفـل.

عنـد عودتهـا للمنـزل، وجـدت سـارة تتزيـن بطريقـة غريبـة، وثيابهـا لافتـة، ولم تعتـد عـلى رؤيتهـا هكـذا.

فسألتها ندى: لماذا ترتدين ثيابًا عارية وتتجملين بهذا الشكل؟ فإنها مجرد حفلة ولا داعي لكل ذلك.

سارة: لا يا صديقتي العزيزة فالداعي سيكون موجودًا هناك، فهذه حفلة سيحضرها كل رجال الأعمال والأثرياء، وهذه فرصتي لكي ألفت انتباههم وأجذبهم إليّ؛ فمن الممكن أن أرتبط بشخص ثري يخلصني من حياتي هذه وأستريح وأكون غنية ولا أحتاج للعمل والتعب هذا، فأنا جئت لهذا البلد وتحملت غربته لأكسب المال وأساعد أسرتي بعد وفاة والدي، وحرمت نفسي من كل شيء لتوفير المال وإرساله إليهم، فإذا جاءت لي الفرصة بالارتباط برجل ثري مهما كان عمره أو شكله أو أخلاقه فلن أضيّع هذه الفرصة.

ضحكت ندى وقالت: إنك إنسانة غير معقولة وتفكيرك عجيب جدًّا.

ذهبا سويًّا للحفل، وارتدت ندى ملابسها العادية التي تذهب بها إلى العمل دون أي تغيير، ووجدتا الكثير من الحضور، ولم تعرف أيًّا منهم سوى زملائها ومديرها فقط.

وقفت بكل ثقة وثبات بينهم، ودار الحديث عن كل شيء يخص العمل، واقتربت سارة منها وهمست في أذنها: يكفي هذا، ألم تملّي من هذا الكلام، فالجميع يستمتع بالحفل إلا أنتِ. انظري بنفسك ستجدين من يستمع للموسيقى، ومن يرقص، وأنت تضيعين وقتك في هذا الملل، وبالطبعِ كل هذا لن يلفت انتباه شخص مثل ندى، فكانت غير مهتمة لأي شيء، ولكن ما جذب انتباهها هو وقوف شاب بجوار امرأة تكبره كثيراً تميل عليه وتمسك بيديه وتتعالى أصوات ضحكتها

بين الجميع، فاشمأزت من هذا المنظر ومن الشاب الذي تربطه علاقة غريبة بهذه المرأة التي في عمر والدته. أيترك كل الفتيات الجميلات الموجودات في الحفل ليقف مع هذه العجوز، لماذا تتعجب؟ فمن المؤكد أنها سيدة ثرية جدًّا يطمع في أموالها ويستغلها، فهذا النوع أعرفه جيدًا.

ذهبت لتبحث عن سارة، فوجدتها ترقص مع شابٍ وسيمٍ، فابتسمت لها وتركتها ترقص وتستمتع بوقتها. ثم وجدت نفسها تقف بمفردها، وقد تفرَّق الجميع من حولها وهي لا تلقي لكل ذلك بالًا.

ما بك يا ندى، الجميع يستمتع بوقته وأنتِ فقدتِ الشعور بأي متعة في أي شيء ترينه أم زهدتِ الحياة بكل ملذاتها.

تأخر الوقت بالنسبة لها، ومرَّ بها دون جدوى كأنها لم تكن موجودة في هذا الحفل، فانصرفت وهي ينتابها شعورٌ بالملل والضيق، وذهبت خلفها سارة لتخبرها بأنها لن تعود للبيت الآن، وحينها رأت الشاب مرة أخرى واقفًا بجوار سيارته مع تلك العجوز، ونظرت إليها بكل احتقار، ثم نظر لها هو الآخر وتعجب من نظراتها الغريبة له، فعندما ركبت سيارة الأجرة وانصرفت؛ ذهب هذا الشاب إلى سارة ليعلم من هي، فقد رآها تتحدث معها وهو يعرف سارة لأنه يمتلك شركة كبرى ويتعامل معظم الوقت مع الشركة التي تعمل بها.

علم من سارة الكثير عن ندى وتملَّكه إحساس غريب نحوها تملؤه الحيرة والتساؤلات واعتبرها كصندوقٍ مليءٍ بالألغاز يريد أن يقتحمه ويبحث عن حقيقته. ثم انتهى اليوم على ذلك وكل الموجودين عادوا لمنازلهم، وانطفأت الأنوار وساد الهدوء والظلام بعد إغلاق سماعات الموسيقى الصاخبة.

نـدى: صبـاح الخـير أيتهـا الكسـولة، هيَّـا انهـضي وقـولي مـا سـبب عودتـك في وقـت متأخـر بالأمـس؟

سارة: اتركيني الآن أريد أن أنام فاليوم عطلة.

ندى: كفاك نومًا.

سـارة: أولًا وقبـل أي شيء، لمـاذا انصرفـت مـن الحفـل قبـل أن ينتهـي؟ ألم تقـضِ وقتًـا جميـلًا وممتعًـا كـما تمنيـتِ في الحديـث عـن العمـل؟

نـدى: لا داعـي للسـخرية، وأعلـم أنـك اسـتمتعت بالموسـيقى والرقـص والسـهر مـع أصدقائـك فـلا تهتمـي لأمـري إذًا.

سارة: بعد ذهابك أتى إليَّ أستاذ أحمد ليسألني عنك.

ندي: من هو أحمد؟ ولماذا يسأل عني؟

سـارة: صاحـب الشركـة المصريـة التـي نعمـل معهـا، شـاب وسـيم وطويـل، كان يرتـدي قميصًـا أزرق اللـون.

نـدى: نعـم نعـم عرفتـه.. أقصـد رأيتـه. كان بصحبتـه سـيدة كبـيرة في السـن، أليـس كذلـك؟

سـارة: بعـد أن انصرفـت بالأمـس جـاء إليّ وظـل يسـأل عنـك ومـن تكونـين.

فقاطعتها ندى: وأنت ماذا قلتِ له؟

سـارة: أخبرتـه اسـمك ومـا هـي وظيفتـك بالشركـة، وأنـك تعيشـين معـي في نفـس المنـزل.

ندى: لماذا أخبرتِهِ بكل هذه التفاصيل عني؟

سـارة: لم أكـن أعلـم أن ذلـك سـيغضبك فمـن الطبيعـي أن يعلـم باسـمك ووظيفتـك فيوجـد عمـل مشـترك بـين الشركتـين.

وأثناء حديثهما دق جرس الباب، فذهبت ندى لتفتح، ووجدت شابًا يحمل باقة كبيرة من الزهور رائعة الألوان، وقال لها هذه الباقة للآنسة ندى، وأعطاها «كارتًا» مكتوبًا به كلمتين فقط «صباح الخير.. أحمد الحسيني». غضبت كثيرًا وأعطت الكارت لسارة وقالت لها: هذا نتيجة لتصرفاتك بالأمس والحديث عني معه، فإنه إنسان متطفل ويتصرف بجرأة ودون وعي.

سارة: ماذا بكِ يا ندى؟! إنها مجرد ورود ليس أكثر!

ندى: هذه الورود البريئة تكون أحيانًا وسيلة لخداع الكثير من الفتيات مثلك، ولكنني تعلمت الكثير من هذه الدنيا، وعلمت أيضًا الكثير من وسائل وطرق المكر والخداع.

بعد مرور يومين كانت ندى تقف مع زميلاتها بعد انتهاء العمل أمام مبنى الشركة يتحدثن كالعادة مثل كل يوم، ولكن الجديد في هذا اليوم هو وجود أحمد، فكان يقف بجوار سيارته ويلوح لسارة بيده، ورأته ندى وهو يتقدم إليهن بخطوات ثابتة وهو سعيد بنظرات إعجاب كل الفتيات اللواتي تنظرن إليه وتبتسم له، أما ندى فقد اعتبرت هذه الابتسامة غرورًا وتكبُّرًا منه، ونظرت إليه بكل استياء، فألقى التحية عليهن ورحبن به كثيرًا ماعدا ندى، لم تقل شيئًا، وسألته سارة: هل وجودك هنا صدفة أم أنك أتيت لغرض ما؟

أحمد: لا يوجد شيء اسمه صدفة في حياتي، فكل شيء أفعله يكون بحساب ومخطط له من قبل، وكان ينظر إلى ندى وهو يتكلم كأنه يقصد أن يوجه كلامه لها.

ندى: أنا لا اقبل أن أكون جزءًا من مخططات أي شخص على وجه الأرض.

تعجب منها كل زميلاتها، فلماذا تأخذ الكلام على نفسها وتتكلم معه بحدة هكذا؟!

أحمد: ما كل هذه العصبية والانفعال فلا داعي لكل ذلك.

ندى: هذه التصرفات الصبيانية لا تليق بشخصٍ في مكانتك ولا في عمرك، ولا يوجد شيء بيننا يستدعي أن ترسل ورودًا أو أي شيء إلى منزلي.

أحمد: أرسلتها إليكِ لنكون أصدقاء فهذه ليست جريمة.

ندى: لدي العديد من الأصدقاء في هذا البلد، ولا أحتاج لتكوين صداقات جديدة. ولكن إذا أردت مني أي شيء يتعلق بالعمل فلن أرفض ذلك فهذا عملي.

وتركتهم وذهبت ولم تبالِ، وتركت سارة أيضًا واقفة معهم.

إنسان مغرور ومتكبر لم أرَ مثله من قبل، يعتقد أن كل فتاة ستقابله ستذوب في هواه.

تغيرت نظرة ندى لكل الأشخاص والأشياء، فإذا رأت شابًا وفتاة يجلسان سويًّا في أي مكان كانت تسخر منهما وتريد أن تسألهما: من الذي يخدع الآخر.. أنت أم هو من يستغل الآخر، ومن سيتخلى عن الآخر أيضًا أولًا؟

لكن كان عقلها يجهد من هذه الحيرة، فلا توجد إجابة صريحة ولا أحد يعلم حقيقة نفوس البشر غير الله وحده. فلذلك كانت تحب الوحدة وتعشق العزلة وتتجنب الآخرين لعدم قدرتها على التمييز بين الخير والشر والواقع والخيال.

فكان الهواء الذي تتنفسه ويحيط بها يملؤه اليأس والإحباط.

وكانت تفضل أن تتملك منها هذه المشاعر السلبية المحبطة على أن تقع فريسة للمكر والخداع مرة أخرى، فيكفي ما مرت به من عذابات وجراح.

ولكن أحمد كان على العكس؛ يحب الحياة، مفعم بالطاقة والحيوية، يملك القدرة والشجاعة لمواجهة أي مشكلة تقابله، ويقبل التحدي في أي شيء. وكان التحدي بالنسبة له في هذا الوقت هو اقتحام قلب ندى. قرر أن يذهب إليها مرة أخرى وانتظرها أمام مبنى الشركة كالمرة السابقة، وجدته يقف أمامها وبيده باقة من الورد أيضًا، فانزعجت وأخذت الورد من يده وفتحت باب سيارته ووضعتها على المقعد، وأغلقت باب السيارة بكل قوة وعنف. فانزعج أحمد وقال لها: لماذا تكرهينني هكذا؟

ندى: أنا لا أكرهك.

أحمد: فلمَ كل هذه المشاعر السيئة التي تشعرين بها تجاهي؟

ندى: أنا لا أعرفك جيدًا، فقط معرفة سطحية، ولا يوجد بداخلي تجاهك أي مشاعر سواء كانت سلبية أو إيجابية.

أحمد: كل من يعمل معكِ بالشركة أصدقائي إلا أنتِ، فلماذا ترفضين صداقتي، فنحن من بلد واحد ولست أجنبيًا.

ندى: ماذا تريد منّي؟ ولماذا تسعى لصداقتي؟ فأنت قلت بنفسك أن الجميع أصدقاؤك، فأنا لست فارقةً معك في شيء ولن تزيدك صداقتي هذه شيئًا.

أحمد: لا تقولي هذا يا ندى، فإنك إنسانة محبوبة وناجحة وشخصيتك مميزة عمن حولك.

فابتسمت ابتسامة بها استهزاء بهذا الكلام لأنها غير مقتنعة به وقالت:

- لم أكن أتوقع هذه المجاملة من شخص مثلك، فأنت إنسان ذكي في تكوين العلاقات مع الآخرين، وهذا المبرر يقال عندما تتحدث مع طفلة صغيرة تريد أن تضحك عليها لتأخذ منها لعبتها وليس مع فتاة بعمري.

أحمد: أنا لست بمخادع أو كذاب، واسألي عني كل من يعرفني سيقول لك إنني شخص صادق وصريح مع الجميع ولا أتقن المجاملات والكلام المعسول.

ندى: عذرًا يا أستاذ أحمد أنا لا أتهمك بشيء، فلا يهمني ما تكون صادقًا أم منافقًا فهذا يعود لك، ووقتي لا يسمح بتكوين أي صداقات جديدة، فأصدقائي هم من يعملون معي لأني أراهم كل يوم وأقضي معهم معظم يومي، غير ذلك لا يوجد مكان لأي شخص بحياتي غير الأشخاص الذين تفرضهم على ظروف الحياة في عمل أو في مؤتمر أو ندوة هكذا، غير ذلك لا أبحث عن أصدقاء جدد.

أحمد: لو تقربتِ منّي يا ندى وتعرفتِ عليّ جيدًا لن تندمي وستعتبريني أهم وأعز صديقٍ لكِ في هذا البلد الكبير.

ندى: لا أريدك أن تعتقد أنني إنسانة مغرورة أو متكبرة على من حولي، بالعكس أنا عادية وبسيطة أريد أن أعيش حياتي هذه بكل بساطة وهدوء دون الدخول في أي مشكلة، ولا أقصد بكلامي هذا أن أحرجك أو أقلل منك.

أحمد: فهذا ما أقوله لكي تتعرفي على طباع وأخلاق أي شخصٍ

يحب أن تتقربي منه وتتعاملي معه، فالمواقف هي التي تعرّفنا بالناس وليس كلامهم.

ندى: لن أكون قاسية معك هذه المرة، وسأقبل بصداقتك، ولكن بحدود وقواعد يجب عليك احترامها.

أحمد: أوافق على كل هذه القواعد والشروط دون أن أسمعها منك.

ندى: لا أريد هذه الصداقة أن تكون سببًا في اقتحام حياتي والتدخل فيها أو السؤال عن أموري الشخصية.

قاطع أحمد حديثها: قبلت بذلك يا صديقتي العزيزة ومستعد أن أوقع لكِ بذلك.

ندى: والآن.. هل من الممكن أن تسمح لي أن أذهب للبيت.

أحمد: نعم سأسمح لكِ بالذهاب، ولكن بعد أن تسمحي لي أولًا بأن تأتي معي لتقابلي وتتعرفي على أهم إنسانة في حياتي.

ندى: أعتذر منك هذه المرة فأنا مجهدة اليوم.

أحمد: هذا لن يستغرق وقتًا طويلًا..

ندى: من هي إذًا؟

أحمد: رأيتها معي بالحفل أول مرة تقابلنا، وكنتِ تنظرين إلينا نظرات غريبة لم أفهمها.

ندى: وإلى أين سنذهب؟

أحمد: سنذهب للشركة فإنها هناك الآن.

فذهبت معه دون تعقيب أو طرح أي سؤال آخر عليه كأنها تحلم.

توقفت السيارة ونزلت منها ندى وهو يفتح لها الباب ويقول لها: تفضلي يا صديقتي، فهذه شركتي وكل أعمالي أديرها من داخل هذا المبنى.

ودخلا معًا، وكانت الشركة يملؤها الهدوء والسكون وتخلو من أي شخص، فوجدت نفسها معه في المصعد فانتابها شعور بالقلق وانقبض قلبها. وحينما توقف المصعد توقف أنفاسها للحظة، ولكنها تماسكت عندما فتح الباب، ووجدت أمامها مكتبًا كبيرًا تجلس إليه فتاة جميلة تبتسم لهما وترحب بهما، فهدأت واطمأنَّ قلبها، وطرق أحمد بابًا ضخمًا ومميزًا، وسمعت صوتًا من وراء هذا الباب يقول «تفضل».

ففتح أحمد الباب ليدخلا، فوجدت التي تجلس على الكرسي بمنتصف الغرفة وأمامها مكتب كبير هي نفس السيدة التي كانت معه في الحفلة، وكلام أحمد صحيح ولا يوجد شيء يستدعي أن تقلق منه أو تشك فيه.

أحمد: والآن أعرفك يا ندى بشريكتي في كل أعمالي وكل حياتي سيدة الأعمال سوزان دويدار.

فرحبت بهما كثيرًا وطلبت منهما أن يجلسا.

ندى: فرصة سعيدة أن ألتقي بكِ وأتعرف عليك.

أحمد: آنسة ندى أضافت أفكارًا جديدة ومختلفة في مجال عملنا، مما أدى إلى صعود أرباح الشركتين الفترة الأخيرة.

سوزان: يكفي التحدث في العمل يا بُنَيّ، فندى الآن ضيفتنا وصديقتك، فلا نريد أن نزعجها بعد أوقات عملها.

أحمد: معكِ حق يا أمي.

ندى: ماذا قلت؟! أمي؟! هل هي والدتك حقًّا؟!

أحمد: نعم إنها أمي وشريكتي في العمل وكل شيء في حياتي.

سوزان: ما بك يا بُنَيَّتي؟! ألم يخبرك أحمد بأني والدته؟ ألم يحدّثك عني؟ فبالعكس هو يحدثني عنك كثيراً.

أحمد: ندى لم تعطني أي فرصة لكي أحدثها عن أي شيء حتى عن نفسي .

ندى: تشرفت بمعرفتك جدًّا، وأستأذنك أن أذهب الآن وأترككما تعملان، وأعدك أن أزورك مرة أخرى.

وهذا ما قالته ندى لها، فلم تجد أي كلامٍ تقوله وقتها إلا ذلك؛ فبمجرد معرفتها بمن تكون هذه السيدة والعلاقة الحقيقة التي تربطها بأحمد وأنها كانت تتصرف معه هكذا في الحفلة لأنها والدته، تفاجأت أو انصدمت بهذه الحقيقة، وأنها ظنت بأحمد السوء وشعرت بالندم أنها حكمت عليهما بأسوأ الظنون دون العِلم بالحقيقة.

سوزان: ما بك يا ندى؟ سريعًا هكذا؟! فلتبقي معنا قليلًا، ما رأيك بأن نذهب لنتناول الغداء سويًّا نحن الثلاثة، يوجد مطعم يقدم أصنافًا رائعة بجوار الشركة، نتناول الغداء فيه أنا وأحمد معظم الأوقات.

ندى: أعتذر منكما فإني حقًّا متعبة، أحتاج للراحة والنوم.

أحمد: نفهم من ذلك أنك ترفضين دعوة أمي أم أنك متعبة حقًا؟

ندى: بالفعل أشعر بالإجهاد، فاليوم كان مجهدًا لي، وأرهقت كثيراً في العمل.

فابتسمت لها والدة أحمد وقالت له: اتركها على راحتها، ولكن يا عزيزتي ستقبلين هذه الدعوة في مرة أخرى، وأنت ستختارين الوقت المناسب لكِ بنفسك، فهذه المرة لن تكون الأولى والأخيرة للقائنا.

ندى: بالطبع لن تكون الأخيرة.

أحمد: كالعادة يا ندى تعلمين كيف تخرجين من أي مأزقٍ بكل سهولة وبمبررات مقنعة.

وخرجت ندى من مبنى الشركة وهي متعجبة لما حدث، تنظر خلفها، ورفعت برأسها لتنظر إلى كل نوافذ الشركة في كل الطوابق وتتساءل يا ترى ماذا يخبئ لي القدر خلف هذه النوافذ والطوابق العالية؟ وهل هذه والدته حقًّا؟ أم أنها خدعة ليوقع بي؟ هل يعتبرني طفلة صغيرة ساذجة أم مراهقة مندفعة المشاعر؟ يجب أن أتأكد بنفسي، فمن السهل فعل ذلك، سأسأل وأتحقق بنفسي، فأنا لن أنسى أنني كنت أعمل محررة صحفية وكان عملي هو البحث والتحقيق ومعرفة الحقيقة الكاملة.

عادت إلى منزلها، وكانت تنتظرها سارة وتملأ عينيها الكثير من التساؤلات، ولكنها اكتفت بقولها: حمدًا لله على سلامتك، قلقت عليكِ فهذه أول مرة لكِ تتأخرين لهذا الوقت.

ندى: لا داعي للقلق فأنا بخير سأرتاح قليلًا، ثم أروي لكِ لماذا تأخرت هكذا.

سارة: لا أريد أن أكون متطفلة على ما تقومين به خارج العمل، فأنت مسؤولة عن تصرفاتك ولك مطلق الحرية في أي شيء تفعلينه وخاصة إذا كان خارجًا وبعيدًا عن هذا البيت.

ندى: أفهم من كلامك هذا أنك غاضبة منّي؟ أم أن هذا تجاهل وعدم اهتمام بي؟

سارة: تعلمين جيدًا أني أعتبرك مثل أختي من أول يوم أتيت فيه

إلى هنا، ولا أقدر على أن أتجاهلك، ولكني قلقت عليك؛ فليس هذا من طبعك أن تتأخري دون إخباري لأطمئن عليك، فأنت لا تعلمين الكثيرين في هذا البلد الكبير، وقمت بالاتصال بكِ ولم تردِّي.

ندى: حسنًا يا فضولية، سأحكي لكِ ما حدث بكل تفصيل، وبعده ستعذرينني على عدم ردي عليكِ أو الاتصال بك.

روت لها ندى كل ما حدث ابتداءً من خروجها من عملها ولقائها بأحمد ثم الذهاب معه لشركته والتعرف على والدته.

سارة: لا، لا أصدق.. مَن؟ والدته؟!

وكان يعلو صوتها وهي تضحك من كثرة تعجُّبها من كلام ندى.

سارة: ليس معقولًا.. هل تمازحينني؟

ندى: اهدأي.. ماذا حدث لكِ أيتها المجنونةَ؟ هذا ما حدث.. ولكني سأتأكد مرة أخرى انها حقا والدته أم لا؟

سارة: ماذا؟ ولماذا ستتأكدين؟ هل أنت تشكين بكلامها؟ فالذي أعرفه عن أحمد أنه رجل أعمال ناجح وأخلاقه جيدة، ولم أسمع عنه شيء يسيئ له. وفي نفس الوقت لا أعلم أيضًا أي شيء عن أمه، فكل تعاملاتنا مع شركته تتم من خلاله هو فقط، وكل ورقة متداولة بيننا عليها توقيعه هو فقط، فلا أعلم بشريكته هذه ومن تكون.

ندى: سأتأكد من ذلك قريبًا وسوف أخبرك بما وصلت إليه.

سارة: والآن وبعد ما علمت بكل هذه التفاصيل فماذا وأين ومتى ومن؟

سأقول لكِ.. تصبحين على خير.

نـدى: شـكرًا لـكِ، لقـد أعطيتنـي فرصـة لـكي أرتـاح وأنـام أنـا أيضًـا بعـد كل هـذه التحقيقـات. اذهبـي ونامـي، تصبحـين أنـت أيضًاعـلى كل خـير.

واسـتيقظت نـدى مـن نومهـا، وكان أول شيء جـاء ببالهـا هـو مـا حـدث لهـا بالأمـس، وأنهـا يجـب أن تبحـث عـن الحقيقـة مـن مصـدر موثـوق فيـه. فألهمتهـا ذاكرتهـا باسـم شـخص يعمـل في السـفارة المصريـة بلنـدن، قابلتـه مسـبقًا وعـرَض عليهـا خدماتـه في أي وقـت تحتاجـه فيـه.

وبحثـت عـن رقـم هاتفـه ووجدته مسـجلًا في قائمـة الأسـماء في هاتفها، فانـشرح قلبهـا وكادت أن تضغـط عـلى رقمـه لتتصـل بـه، ولكـن إذا بسـارة تطـرق بـاب الغرفـة عليهـا ودخلـت مسرعـة وكلهـا نشـاط وحيويـة قائلـة: إلى الآن وأنـتِ تجلسـين عـلى السريـر بملابـس النـوم، ومـاذا يفعـل الهاتـف في يـدك بالصبـاح الباكـر هـذا، هيّـا انهـضي وارتـدي ملابسـك، فالعمـل في انتظارنـا، لقـد تأخرنـا كثـيرًا.

ولم تتـم المكالمـة بسـبب سـارة، ونويـت عـلى إتمامهـا حـين تذهـب إلى الشركـة، وقبـل أن تبـدأ في الانشـغال بالعمـل وتنـسى ذلـك. وبالفعـل كان أول شيء قامـت بـه هـو الاتصـال بالشـخص الـذي يعمـل بالسـفارة، ولكنهـا كانـت محرجـة منـه كثـيرًا. لم تعـرف مـاذا تقـول لـه وهـي تطلـب منـه أن يؤكـد إذا كان كلام أحمـد صحيحًـا أم لا.

وعندمـا ردَّ عليهـا رحـب بهـا كثـيرًا، وهـذا قلـل توترهـا، ووجـدت نفسـها تتحـدث معـه بـكل ثقـة وبنـبرة صـوت ثابتـة مسـتقرة وقالـت لـه: كنـت أسـتعلم عـن شركـة سـياحة تمتلكهـا سـيدة أعـمال مصريـة ولهـا شريـك آخـر يديـر معهـا الشركـة.

فأجابها بسرعة شديدة دون علمه باسم الشركة وقال: بالطبع أعلم، سوزان دويدار، سيدة الأعمال وشريكها الذي تقصدينه هو ابنها الوحيد أحمد الحسيني، فقالت له ندى وهي سعيدة: نعم، نعم هذه هي من كنت أسأل عنها.

فقال لها: ومن في لندن لا يعلم بها هي وأحمد الحسيني، وعن مجموعة شركاته الكبرى في مجال السياحة.

فشكرته ندى كثيرًا على كل هذه المعلومات، وجاء رده عليها: أتمنى أن أكون قد ساعدتك بإعطائك هذه المعلومات البسيطة، ولا تقلقي من التعامل معهم فإنهم أشخاص يمتلكون سمعة طيبة في كل شيء وفي نجاح مستمر بمجال السياحة.

فهذه الكلمات كانت كتناول قرص مهدئٍ للأعصاب، ومنذ ذلك الوقت لم تره أو تسمع عنه شيئًا سواء كان يخص العمل أو يخصه شخصيًّا، وكانت تتساءل سارة عن سبب الاختفاء هذا الذي دام شهرًا كاملًا.

سارة: ما سر اختفاء أحمد كل هذه الفترة فمعظم الاجتماعات لم يحضرها بنفسه ويكتفي بإرسال نائبه؟

ندى: لا أعلم عنه شيئًا، ولكن لا تنسي أنه رجل أعمال كبير، فمن الممكن أن يكون لديه أعباء وأمور كثيرة تشغل وقته، أو أنه سافر إلى أيّ مكان.

سارة: لو كنتِ مهتمة اتصلي به على هاتفه الشخصي، فبالتأكيد تعلمين رقمه، أو اتصلي في شركته واسألي عنه.

ندى: ولماذا لا تفعلين ذلك وعندك كل الحلول لأي شيءٍ؟!

سارة: وقتي لا يسمح بذلك؛ فعندي أشياء أكثر أهميةٍ أقوم بها، فإنه لا يفرق معي وجوده أو عدمه.

ندى: تدفعيني للجنون.. من سأل عنه أولًا؟

فضحكت سارة: إنه مجرد احترام وتقدير له، ولكن لا يؤثر عليَّ غيابُه أو يفرقُ معي، ولكنه في الفترة الماضية كنا نراه كثيرًا وكان يسعى للتقرب إليكِ.

ندى: وأنا مثلك لن أشغل بالي بأحد، يكفيني عملي ومشاكله طوال اليوم، وتعلميننني لا أحب التطفل على حياة أي إنسان؛ فهو رجل ناجح ومعروف وحياته مليئة بالعلاقات والأحداث واللقاءات وأنا بالنسبة له مجرد موظفة ليس أكثر.

وفي اليوم التالي كانت تجلس مع مديرها تناقش معه بعض الأمور المتعلقة بشؤون الشركة فقال لها: بالأمس علمت أخبارًا سيئة عن أستاذ أحمد الحسيني.

ندى: ماذا حدث له؟

المدير: للأسف أصيب في حادث سيارة وحالته خطيرة، ومن أخبرني قال لي إن هذه الحادثة منذ أسبوع، وسأذهب لزيارته اليوم بالمشفى بعد انتهاء العمل بالشركة، وسيأتي معي مجموعة من الزملاء، فهل تريدين الذهاب معنا اليوم؟

ندى: بالطبع نعم سأذهب معكم لأطمئن عليه، فهو إنسان مهذب ويتعامل معنا بكل ذوق واحترام ويجب أن نكون بجواره في هذا الوقت.

المدير: حسنًا وهذا ما أتوقعه منك.

وذهبت ندى لمكتبها وأخبرت سارة بالأمر، ولكن سارة لم تقرر بعد إن كانت ستذهب معهم أم لا، وقالت لندى أنها ستفكر أولًا وستقول لها بعد انتهاء العمل، بعكس ندى التي قررت أن تزوره لتطمئن عليه دون أي تفكير؛ فمن الذوق والإنسانية أن تكون بجواره في شدته.

انتهى يوم العمل ولحقت ندى بزملائها لتذهبَ معهم، واعتذرت لهم سارة لأنها تفضل الراحة والنوم وستقوم بزيارته في يومٍ آخر. وعندما وصلوا للمشفى وقبل أن يدخلوا الغرفة التي بها أحمد لاحظ المدير شيئًا غريبًا على وجه ندى.

المدير: ما بك يا ندى؟ ما الاحمرار الذي يظهر على وجهك هذا؟

ندى: لا أعلم، ولكني أشعر بحرارة شديدة تنبعث من وجهي.

المدير: يبدو عليك الإرهاق والتعب. اجلسي وارتاحي أولًا وبعدها ندخل لأحمد.

ندى: لا تنزعجوا ولا تقلقوا فأنا بخير، ولكن أريد أن أشرب القليل من الماء، فأحضر لها أحد زملائها زجاجة من الماء وكوبًا من عصير البرتقال الطازج من كافيتيريا المشفى، فشكرته ندى كثيرًا ولم تقدر على شُرب العصير، ولكنها شربت المياه بأكملها فكانت تشعر بالعطش الشديد.

الجميع: هل أنت بخير الآن؟

ندى: الحمد لله أنا بخير.

المدير: إذًا لندخل الآن.

واستقبلتهم والدته بكل ترحاب، وكان أحمد حينها مستيقظًا

وجسمه ممددٌ على سريره، وعندما رآهم يدخلون الغرفة ورأى ندى بينهم؛ رفع رأسه وحاول أن يرفع جسده قليلًا، لكنه لم يقدر، فهو متعب. ارتسمت على وجهه ابتسامة رقيقة استقبلهم بها، وأبدى لهم شكره وامتنانه بزيارتهم له.

المدير: حمدًا لله على سلامتك، قلقنا عليك عندما سمعنا بهذا الحادث، ولكن يبدو أنك بخير الآن.

ندى والجميع: الحمد لله على سلامتك، نتمنى لك الشفاء العاجل.

أحمد: أشكركم كثيرًا على هذه الزيارة الغالية.

المدير: ما سبب هذا الحادث الكبير؟

أحمد: كان الوقت متأخرًا، وأنوارُ الطريق انطفأت من شدة المطر وغزارته وقتها، فلم أقدر على رؤية الطريق بوضوح فانحرفت السيارة وصدمت بشجرة كبيرة تسبب ذلك في إصابة شديدة برأسي وفقدت الوعي لفترة كبيرة، ولم أشعر بأي شيء، ومرت سيارة شرطة في هذا الوقت وطلبوا سيارة الإسعاف وتم نقلي إلى هذا المشفى، فأسعفوني على أكمل وجه، وها أنا الآن أمامكم، ولكن يوجد بعض الكدمات البسيطة برأسي وذراعي فقط.

تمنى له الجميع الشفاء العاجل، وأن يخرج من المشفى ويعود لحياته وعمله وهو بكامل صحته. وخرجوا من الغرفة ماعدا ندى التي وقفت بجانب سريره لتودعه.

أحمد: سعيد برؤيتك يا ندى اليوم، وأتمنى أن أراك ثانية.

ندى: ألقاك على خير إن شاء الله.

وخرجت من الغرفة وهي تلتقط أنفاسها بكل عمق، وعادت

لمنزلهـا، وكانـت تشـعر بالتعـب، والإجهـاد الشـديد.

سـارة: رأيـت لهفتـك وخوفـك عـلى أحمـد عندمـا علمـتِ بالحـادث اليـوم.

نـدى: أردت الاطمئنـان عليـه عندمـا علمـت بـأن حياتـه تعرضـت للخطـر. وماذا تقصديـن بكلامـك هـذا؟ هـل تقصديـن أننـي أحبـه أو أنـه يوجـد علاقـة مـا بيننـا؟ قوليهـا بصراحـة.. هـل هـذا مـا تلمحـين بـه منـذ فـترة؟

سـارة: مـاذا بـك يـا نـدى؟ لمـاذا أزعجـك كلامـي الآن؟ أنـا لم أقصد شـيئًا سـيئًا، وإنمـا لفـت نظـري اهتمامـك وسـألتك عنـه ليـس أكـثر، وأعتـذر لـك إن كنـت أغضبتـك أو جرحتـك دون قصـد، تصبحـين عـلى خـير.

فدخلـت نـدى غرفتهـا وجلسـت عـلى سريرهـا وألقـت بحقيبتهـا في الهـواء وكانـت تقـول، يتهمونـني بالحـب.. مـاذا تعلمـون أنتـم عـن الحـب الـذي عشـته وشـعرت بـه في حيـاتي ومـا سـبَّب لي هـذا الحـب في النهايـة؟ حـب مـاذا؟! وأحـب مـن؟! أنـا أكـره الحـب، لقـد مـات بقلبـي وقتلَتْـه الأيـامُ والليـالي، وتملكنـي الفتـور والملـل، فالحـب هـو سـبب شـقائي، فالحـب قوتـه ضعـف وضعفـه قـوة، وياويـل العاشـقين مـن مرارتـه.

رن هاتفهـا، ووجـدت اسـمَهُ عـلى الشاشـة، تنهـدت وقالـت لنفسـها لـو علـم مـا بداخـلي لبعـد عنـي وتركنـي بـكل أحـزاني وهمومـي وقلبـي الـذي اعتـاد عـلى القسـوة، فظـل يـرن الهاتـف وعندمـا ردت عليـه قـال لهـا: أتصـل بـك لأطمـئن عليـكِ، هـل وصلـتِ للمنـزلِ بخـير؟

نـدى: لمـاذا تطمـئن عـليّ؟! هـل أنـا فتـاة صغـيرة لـن تعـرف طريـق منزلهـا؟!

أحمد: أردتُ أن أشكرك على زيارتك لي.

نـدى: هـل اتصلـت بـكل مـن زاروك اليـوم لتطمـئن عليهـم أم أنـا فقـط؟

أحمد: لماذا تحدثينني بهذه الطريقة كأنك تسخرين من كلامي؟

فشـعرت نـدى بأنهـا أحرجتـه، وأنـه لا يسـتحق منهـا ذلـك التهكـم فقالـت لـه: لم أقصـد أي سـخرية لكنـي تفاجـأتُ بمكالمتـك لي الآن، فأنـت تحتـاج للراحـة والنـوم فـلا تشـغل بالـك بـأي أحـد.

أحمد: آسف إن كنت أزعجتك باتصالي هذا.

نـدى: لا داعـي للاعتـذار، وشـكرًا لاهتمامـك، وأتمنـى لـك أن تشـفى قريبًـا.

أحمـد: شـكرًا لـك أنـت، ولا تتعبـي نفسـك مـرة أخـرى وتـأتي لزيـارتي وتصبحـين عـلى خـير.

هـل أنـا قليلـة الـذوق لهـذه الدرجـة؟ ولكـن اتصالـه جـاء في وقـت غـير مناسـب؛ فـكان عقـلي وتفكـيري مشوشـين بعـد كلام سـارة معـي، ولم أحسـن الحديـث معـه، ولكـن مـاذا أفعـل؟ فأنـا أفسـد كل شيء بطريقتـي الجامـدة هـذه وكلامـي الحـاد مـع أي أحـد.

زارتـه في اليـوم التـالي لـكي تصلـح مـا أفسـدته، وفـرح كثـيرًا عنـد رؤيتهـا ونـسيَ كل كلامهـا ولم يعاتبهـا عليـه.

أحمد: أتمنى أن أراك كل يوم وأن تبقي بجواري دائمًا ولا تتركيني.

نـدى: تريـدني أن أتـرك عمـلي وحيـاتي وكل شيء وأجلـس جانبـك؟! هـل هـذا معقـول؟ أنـا لسـتُ والدتـك، أم هـذا مـن شروط صداقتنـا وأنـا لا أعلـم ذلـك؟!

أحمد: نعم.. فعلى الصديق أن يهتم بصديقه ويكون بجواره دائمًا في وقت الشدة والمرض.

ندى: لا تقول أنك مريض فأنت بخير الآن، وعليك أن تترك المشفى وتعود لبيتك تستكمل علاجك هناك، أم أن جلوسك هنا بإرادتك لكي تحظى باهتمام من حولك ونأتي لزيارتك كل يوم؟

أحمد: أكره ذكاءك ولا أحب صراحتك.

وكان يضحك بصوتٍ عالٍ وهو يقول ذلك، أحببت هذا المشفى وعشقت الجلوس فيه وتعلقت به كثيرًا، وسأنتظرك غدًا تأتين لزيارتي أيتها الذكية المتمردة.

ندى: لا أعدك بذلك فغدًا ينتظرني الكثير لأفعله.

وخرجت من غرفته وهي تقول لنفسها: لو علمت بالنفور الذي بداخلي وكرهي لكل الرجال لعلمت أن تقربك منّي ليس له أي فائدة، ولو احتاج الأمر لإخبارك ذلك سأخبرك حتى لا تتمادى في إحساسك تجاهي ولا تتولد بقلبك أي مشاعر حب نحوي.

نظرت لساعتها ووجدت الوقت قد تأخر، فقالت: عجبًا لك أيها الوقت، عندما تريد أن تمر سريعًا دون أن يشعر بك أحد؛ تجري كالخيل في البيداء تدهس كل شيء تحت أقدامها، وإذا أردت أن تبطئ وتشعرني بالملل تمشي كالسلحفاة؛ فالآن موعد اتصالي بأغلى الناس الذين حرمت نفسي وحرمتهم مني بكامل إرادتي؛ أبي وأمي.

ندى: ماذا بك يا أمي؟ صوتك لا يعجبني اليوم، هل حدث مكروه؟ أخبريني ماذا حدث؟

الأم: نحن بخير يا ابنتي لا تقلقي علينا.

نـدى: أشـعر بغـير ذلـك، فأنـا أعـرف نـبرة صوتـك عندمـا تكونـين حزينـة.

الأم: أفتقـدك كثـيراً يـا حبيبتـي، فأنـتِ ابنتنـا الوحيـدة ووالـدك يشـتاق إليـك، ونشـتاق لرؤيتـك أمامنـا والجلـوس معـك.

كان البـكاء يغلـب عـلى صـوت والدتهـا، وكانـت لم تسـمعها بوضـوح، ولكنهـا شـعرت بـكل حـرف وكلمـة قالتهـا والدتهـا ولم تسـمعها.

نـدى: لا تبـكي يـا أمـي. لا تشـعريني بالذنـب بـأن قـراري هـو سـبب آلامكـما وأوجاعكـما.

الأم: اعذريـني يـا ابنتـي، لم أقـدر عـلى التحكـم في مشـاعري ودموعـي سـبقتني، طمئنيـني عليـكِ، أأنـتِ بخـير يـا حبيبتـي؟

نـدى: بخـير وإحسـاس الغربـة والوحشـة زال مـن قلبـي؛ فـكل مَـن حـولي يهتمـون بي ويمـلأون كل وقتـي، طمئنـي أبي وأخبريـه أن إجـازتي السـنوية اقتربـت وسـأعود إلى مـصر قريبًـا. لقـد طلبـت مـن مديـري إعطـائي إجـازة شـهرين كاملـين، وقـد وافـق عـلى ذلـك.

ففرحـت والدتهـا وتغـيرت نـبرة الشـجن والحـزن بصوتهـا وقالـت: حقًـا يـا ابنتـي سـنراكِ قريبًـا أم تقولـين هـذا الـكلام لتهدئتـي ولتريحـي قلبـي.

نـدى: سـلامة قلبـك يـا أمـي، هـذه الحقيقـة، في خـلال أسـبوع أو أقـل سـتجدينني أمامـك.

الأم: اعذريـني يـا حبيبتـي، فأنـا أنتظـر رؤيتـك كل يـوم، سـأخبر والـدك الآن، سـيفرح كثـيراً، والآن سـأتركك لتنامـي، فالوقـت قـد تأخـر، تصبحـين عـلى خـير وسـعادة.

يـاااااه لهـذا الإنسـان الضعيـف، كلمـة واحـدة تقـدر أن تغـيّر حياتـه بأكملهـا، وتحـدد مصـيره ومسـتقبله، مـع أنـه يعتقـد أنـه هـو الـذي يتحكـم في حياتـه ويفعـل كل شيء بإرادتـه، ولكـن للأسـف يتفاجـأ بغـير ذلـك، ويكتشـف أن الكـون هـذا توجـد بـه أشـياء كثـيرة هـي التـي تتحكـم في مصـيره وترسـم مسـتقبله؛ فقدرنـا يرتبـط بأقـدار مـن حولنـا، فهـذه الحيـاة منظومـة متكاملـة ومترابطـة تتكـون مـن العديـد مـن المواقـف والأحـداث والأشـخاص والأفعـال وردود لهـذه الأفعـال، فنحـن البـشر نحـاول أن نتحكـم في هـذه المنظومـة، ولكـن أحيانًـا لا نسـتطيع فعـل أي تغيـير؛ لأن ليـس كل مـا نريـد فعلـه يتحقـق، وليـس كل مـا نتمنـاه نحصـل عليـه، فهـذه هـي الدنيـا.

وهـا هـي نـدى جـاءت إلى عـالم جديـد اختارتـه بإرادتهـا وهربـت مـن بـين أنيـاب المـاضي لـكي تنـسى وتنـسى وتنـسى، ولكـن مـا تتعـرض لـه الآن ليـس بجديـد، تلاحقهـا مشـاعر وأحاسـيس شـعرت بهـا مـن قبـل، وكانـت سـببًا لنزيـف قلبهـا؛ فـماذا تفعـل الآن؟ هـل تهـرب مـرة أخـرى وتسـافر إلى بلـدٍ آخـر أم تعطـي فرصـة لقلبهـا وتسـمح لـه بالشـعور بالحـب الجديـد؟ مسكينة يا ندى..

اتصـل أحمـد بهـا ليخبرهـا بأنـه خـرج مـن المشـفى، وأنـه الآن في بيتـه، وبعـد إنهائـه للمكالمـة وجدتـه والدتـه يجلـس شـارد الذهـن فسـألته: مـا الـذي يشـغل تفكـيرك ويسـبب لـك هـذا الـشرود والسـكون؟

أحمد: لا يوجد شيء مهم. إنها أمور تتعلق بالشركة.

الأم: لا أريـدك أن تجهـد تفكـيرك بـأي شيء، فالعمـل يسـير عـلى مـا يـرام.

أحمـد: طبعًـا؛ فوجـودكِ بالشركـة يجعلنـي مطمئنًـا عـلى كل شيء، ولكنـك منـذ دخـولي للمشـفى تتحملـين كل أعبـاء العمـل بمفـردك. وهـذا تعـب عليـكِ وأنـا مـن الغـد سـأعود لعمـلي ومـكاني بالشركـة، فإننـي افتقـدت شـيئًا، وأريـد أن أخفـف عنـك كل هـذه الأعبـاء التـي تحملتِهـا أثنـاء غيـابي.

فقالـت لـه والدتـه بـكل حُـب وحنـان: ليـس الآن الوقـت المناسـب لعودتـك للعمـل؛ فأنـت تحتـاج لفـترة كافيـة للنقاهـة وراحـة وهـدوء البـال دون التعـرض لأي ضغـط عصبـي أو انفعـال ينتـج عـن مشـاكل العمـل، فصحتـك وسـلامتك عنـدي أغـلى وأهـم مـن أي شركـة وأي شيء أمتلكـه في هـذه الدنيـا، ولـن أسـمح لـك بذلـك حتـى أراك متعـافى وأقـرر بنفـسي موعـد نزولـك للعمـل. سنستشـير الطبيـب المعالـج لـك حتـى لا يصيبـك مكـروه أو انتكاسـة لصحتـك الغاليـة.

أحمـد: لا يـا أمـي دعينـي أعـود لعمـلي، فقـد مللـت مـن الجلـوس هكـذا دون عمـل، فلسـت معتـادًا عـلى الراحـة والبقـاء في البيـت كالصغـار. لا تقلقـي عـليّ فأنـا بخـير وصحتـي تحسـنت كثـيراً.

تمـر الأيـام ولكـن تبقـى تلـك المشـاعر والأحاسـيس الكامنـة بداخـل كلٍّ منـا، سـواء كانـت إحساسًـا بالحـب والحنـين والشـوق لمـن نحبـه ونتمنـاه أو إحساسًـا بالخـوف والريبـة مـن المسـتقبل الـذي لا نعلـم عنـه شـيئًا إلا عندمـا نلحـق بـه ويلحـق بِنَـا أو إحساسًـا مـن نـوع آخـر وهـو عـدم الثقـة والشـك فيمـن حولنـا وشـعورنا بعـدم الأمـان. آاااااااه مـن هـذه الدنيـا وقسـوتها عـلى الضعيـف الـذي لا حيلـة لـه في أمـره؛ فهـل الدنيـا هـي التـي تقسـو علينـا أم نحـن مـن نقسـو عـلى أنفسـنا؟ هـل الدنيـا غـدارة كـما يقولـون مثلـما نسـمع مـن الآخريـن؟ أم هـم السـبب في ذلـك

ويستحقون غدرها بهم؟

حيَّرتني هذه الدنيا، فلا أستطيع أن أعرفها على حقيقتها.. هل هي الجاني والظالم أم المجني عليه والمظلوم؟ ليتني أعلم وأفهم لكي أقدر على العيش بها دون أن أتعذب أو يُجْرَحَ قلبي، فيكفي أن أعلم معنى كلمة دنيا.. فهي دنيا. ويا ويل من انتظر منها الخير فقط ولم ينتظرْ شرها وغدرها.

مرت أيام هذا الأسبوع كالسحاب المتدافع كسرب من الطيور المهاجرة تهرب من الشتاء وبرودته لتلقي بنسمات الربيع وزهوره وخيراته، وحان موعد السفر وعودة ندى لمصر بعد كل هذا الفراق وكل هذه الشهور التي مرت عليها كأعوامٍ طويلة. سترى والديها وستلقي بنفسها بأحضانهما الدافئين لتزيل قسوة وبرودة الغربة، وبدأت بكل سعادة في تجهيز حقيبة سفرها وكلها لهفة وحماس كالطفلة الصغيرة التي تجهز ملابس العيد ومبتسمة لسارة قائلةً لها: أخيرًا سأعود لبلدي.

نظرت إليها سارة بكل حزن وقالت: ستتركينني وحدي هنا مرة أخرى؟! لقد اعتدت على وجودك معي في البيت وذهابنا سويًّا للعمل.

ندى: سامحيني يا صديقتي، ولكني اشتقت لأسرتي وهم أيضًا بحاجة إلي. سأتصل بكِ كل يوم لأعرف أخبارك، فأنتِ مثل أختي، وأريد منك أن تهتمي بنفسك وتتصرفي بعقل في غيابي ولا تفعلي شيئًا تندمين عليه أو تخجلين منه بعد ذلك.

سارة: كلامك هذا مثل كلام والدتي التي تقوله لي في كل مكالمة بيننا، سأفتقدك يا ندى هنا وفي العمل، فلا تنسيني وتنشغلي بوالديك عني.

نـدى: سـأتركك فقـط شـهرين وبعدهـا يعـود كل شيء لمـا كان عليـه، والآن دعينـي أجهـز حقيبتـي حتـى لا أنـسى شـيئًا هنـا.

سارة: أفهم من ذلك أنك ستودعينني الآن وليس صباحًا.

نـدى: نعـم لأني سـأذهب للمطـار وأنـت غارقـة في النـوم بـين أحلامـك الغريبـة كالعـادة.

سارة: متى موعد رحلتك؟

ندى: السادسة صباحًا.

ودعتهـا سـارة وتمنـت وصولهـا لمـصر بالسـلامة والخـير، وتركتهـا لتنـام هـي الأخـرى، وظلـت نـدى مسـتيقظة للصبـاح خوفًـا أن يضيـع عليهـا موعـد الطائـرة، وعندمـا ظهـر أول شـعاع أبيـض في السـماء ذهبـت مسرعـة للمطـار، وكانـت تتمنـى أن تقلـع الطائـرة كالصـاروخ يخـترق كل السـماوات والسُّـحُب ليهبـط بهـا عـلى أرض الوطـن. كانـت تنظـر للسـماء مـن النافـذة الصغـيرة للطائـرة وتتأمـل صُنـع اللـه وعظمتـه وكيـف تتعلـق روحهـا وأرواح كل الـركاب معهـا بـين السـماء والأرض؛ فـإذا نظـر الإنسـان مـن مقعـده هـذا إلى الأسـفل شـعر بنفسـه كبـيرًا وعاليًـا كأنـهُ يمتلـك العالم بـين يديـه، وأن كل شيء صغـير وضئيـل مسـخَّرٌ لـه ولخدمتـه، ولكنـه إذا نـزل عـلى الأرض ونظـر لأعـلى ووجـد النجـوم والكواكـب تمـلأ السـماء مـن فوقـه شـعر بضآلتـه وضعفـه كأنـه حـشرة زاحفـة عـلى الأرض تخـشى أقدام العمالقـة والوحـوش تدهسـها بـكل قسـوة، فـكل هـذه المشـاعر المتناقضـة نشـعر بهـا في كل وقـت ولا تحتـاج لنجلـس في طائـرة تحلِّـق بِنَـا في السـماء. نشـعر بهـذا العلـوّ والتحليـق فـوق السـحاب عندمـا يكـون بداخلنـا أحـلام وطموحـات كبـيرة ونقـدر عـلى تحقيقهـا بـكل سـهولة، ونشـعر بضآلـة

حجمنا وقلة حيلتنا عندما نتعرض لموقف محبط ومحرِج يتسبب لنا في الخجل والخزي؛ فبعدها نريد أن ننزل لسابع أرض لنختفي بعيدًا عن أعين الناس.

هبطت الطائرة واستقلت ندى سيارة أجرة لتذهب لبيتها، وكانت تشعر بالحنين عندما رأت الشوارع والطرقات من نافذة السيارة وتنظر للناس التي تمشي على الأرصفة بكل سعادة تريد أن تأخذهم في أحضانها؛ فإنها مشتاقة لتلك الوجوه الطيبة البسيطة ذات البشرة النضرة المبهجة، فإنها ملَّت من الوجوه الأورُبّية الشاحبة شديدة البياض التي كانت تشعرها بالبرود والجمود والصلابة.

وصلت إلى البيت وتركت الحقائب للحارس ليحملها وارتقت السلم بكل سرعة وارتمت على الباب ووضعت إصبعها على الجرس وظلَّتْ تضغط عليه ولم تتركه إلا عندما فتحت لها والدتها وألقت ندى بنفسها في حضنها وطوقتها بذراعيها وتبادلتا القبلات الحارة، ثم نظرت إلى داخل البيت يمينًا ويسارًا تبحث عيناها عن والدها.

ندى: أين أنت يا أبي؟ أليس موجودًا ليستقبلني عند وصولي؟

فسمعت صوته يقترب منها، ولكن أذهلتها وصعقتها المفاجأة ووقفت مكانها دون حركة، لقد وجدته يجلس على كرسي متحرك يضغط على زِرّ في ذراع الكرسي ليتحكم في حركته ويتقدم به إليها.

فقالت له ندى غير قادرةٍ على التقاط أنفاسها واضعةً يديها على صدرها وتعلو أنفاسها وقد أغمضت عينيها للحظة ثم فتحتها: لماذا تجلس على هذا الكرسي، ولماذا لم تنهض من عليه لتستقبلني أهذه مزحة سخيفة؟ ليس وقتها الآن.

الأم: اجلسي أولًا يا حبيبتي وارتاحي وسنخبرك بكل شيء.

الأب: اجلسي واهدئي يا ابنتي.

ندى: أجيباني أولًا. فأنا أتصل بكما كل يوم، فما الجديد الذي حدث ولم تخبراني به؟

كان والدها يجلس على الكرسي المتحرك تبدو عليه ملامح الحزن والمرض كرجلٍ عجوزٍ مر عليه الزمن بقسوته وآلامه فتغيرت ملامحه وحفرت على وجهه ملامح الأسى والمعاناة.

الأم: والدك مصاب بالشلل.

ندى وهي تبكي: هل أنا السبب؟ أصبت بالشلل بسببي؟ ليتني لم أسافر وأتركك فأنا السبب في مرضك هذا.

الأب: لا تحملي نفسك فوق طاقتها فهذا قدري ونصيبي ليس بسببك أو بسبب أي أحد وأنا رضيت به.

ندى: رضيت بماذا يا أبي؟ رضيت بأن تكون مشلولًا فاقدًا الحركة لا تستطيع النهوض الآن لتضمني لصدرك.

الأم: والدك من شدة حزنه على فراقك واشتياقه إليكِ تدهورت صحته شيئًا فشيئًا، وبدأ يفقد قدرته على الحركة، وذهبنا لكبار الأطباء وأكدوا لنا أن هذا كله بسبب نفسي، وليس عضويًّا.

ندى: لماذا لم تخبراني فأنا كنت أعتقد أنكما بخير وبأفضل حال؛ لذلك بقيت في عملي هناك، ولو كنتِ أخبرتِني من البداية قبل تدهور صحته هكذا كنت تركت كل شيء بلندن، وعدت في الحال وجلست تحت قدميك يا أبي، وكنت لن تصاب بهذا الشلل وتسوء حالتك هكذا.

الأم: هـو مـن منعنـي عـن أخبـارك، وكنـت أريـد أن أخـبرك ولكنـه رفـض.

نـدى: منعتهـا لمـاذا؟ لقـد تدهـورت صحتـك بسـببي، فأنـا لا أسـتحق منـك أن تراعـي مشـاعري عـلى حسـاب مرضـك وألمـك وتفضـل رغبتـي في السـفر. أنـا لا أسـتحق كل هـذه التضحيـة فأنـا إنسـانة إنانيـة فضلـت مصلحتـي عليكـما واخـترت الفـراق والبُعـد، ولكننـي لم أتوقـع أن يحـدث بـك ذلـك أو أن يصـاب أي منكـما بـأي مكـروهٍ.

الأب: وجـودك الآن أمامـي أدخـل عـلى قلبـي البهجـة والسـعادة وجعلنـي بأحسـن حـال الآن.

الأم: غـدًا موعـد زيـارة الطبيـب لنـا، وسـنطمئن عـلى حالتـه إن شـاء اللـه.

نـدي: أشـعر أننـي في حلـم سيء، كابـوس أريـد أن أخـرج منـه وأرى أبي واقفًـا عـلى قدميـه مـرة أخـرى مثلـما تركتـه قبـل سـفري المشـؤوم.

كانـت هـذه الليلـة مـن أطـول الليـالي التـي مضت عـلى ندى، فجلسـت عـلى سريرهـا الـذي افتقدتـه كثـيرًا وأمسـكت بوسـادتها واحتضنتهـا كأنهـا تحتضـن طفلهـا الصغـير الـذي لا يسـتطيع أن ينطـق ولا يفهـم مـا يحـدث حولـه، فهـذه الوسـادة أكـثر شيء كانـت نـدى تشـكو لـه آلامهـا وأوجاعهـا والآن حزنهـا عـلى مـرض والدهـا.

آه آه آه يـا ربي اشـفِ أبي، أتوسـل إليـك اشـفه فهـو يحتـاج لرحمتـك، أمرِضنـي أنـا واشـفهِ هـو فأنـا السـبب.. أنـا السـبب.

جـاء صبـاح يـوم جديـد، واسـتيقظت نـدى وهـي تتمنـى أن تظـل نائمـة طـوال العمـر حتـى لا تـرى والدهـا بهـذا الوضـع ولم تخـرج مـن

غرفتها حتى قلقت والدتها عليها ودخلت الغرفة فوجدتها مستيقظة فضمتها بين ذراعيها وقالت: افتقدتك كثيراً يا قرةَ عيني. غيابك عني كان صعب عليَّ لكني تركتك تعيشين الحياة التي قمت باختيارها بنفسك لتنسي كل ما حدث.

ندي: ليتك يا أمي منعتِني من السفر ورفضتِه.

الأم: ليس وقت هذا الكلام الآن، دعينا نواجه واقعنا بكل ما فيه ولا نستسلم له أو نيأس من رحمة الخالق.

ندي: هل استيقظ أبي؟

الأم: وينتظرنا على مائدة الطعام لنتناول الفطور معًا.

عندما رأت ندى والدها يجلس على الكرسي المتحرك وليس على مقعده الذي يعتاد الجلوس عليه تقطعت نياط قلبها وحزنت بشدة، ولكنها تماسكت وابتسمت له وقالت:

صباح الخير يا أبي.

فابتسم هو الآخر وقال: صباح النور يا صغيرتي، اليوم شهيتي مفتوحة وأريد أن آكل كل هذا الطعام بمفردي.

الأم: ولكن اترك لنا شيئًا ولو قليلًا لنأكله.

فابتسموا وضحكوا وساد جو من السعادة والأمل نوعًا ما، وفي نفس الوقت هذا، ولكن في بلد آخر وقارةٍ أخرى، كان أحمد يتصل بندى في عملها فردَّت عليه سارة، فسألها عن ندى فأخبرته أنها في إجازة لمدة شهرين، فقلق عليها كثيراً وقال لها: لمَ كل هذه الإجازة ماذا حدث لها؟ هل أصابها مكروه؟ ولماذا لم تخبريني بذلك؟

سارة: لا يوجد أي شيء سيء أو مكروه حدث لها، إنها في إجازتها

السنوية وتقضيها مع عائلتها في مصر.

أحمد: متى سافرت فإنها لم تخبرني بذلك، هل حدث شيء لأحد من والديها جعلها تقرر السفر فجأة هكذا؟

سارة: إنهم بخير، وهي كانت تستعد وترتب لهذه الإجازة منذ فترة.

أحمد: هل يوجد بينكما اتصال؟

سارة: نعم هي كلمتني عندما وصلت بالأمس وهي بخير.

أحمد: أعطِنِي رقم هاتفها الذي حدثتكِ منه.

فأعطته سارة الرقم وأنهى المكالمة، وكان متفاجئًا ومصدومًا بسفرها المفاجئ هذا فشعر بشوق لها وأحس أنها تضيع من بين يديه وتخرج من حياته فجأة دون أي تمهيد ودون أي وداع.

كان مرض والدها هو الشيء الوحيد الذي يسيطر على تفكيرها وحزنها عليه وهو الشعور الأوحد الذي يملأ كل وجدانها الآن.

أتى الطبيب المعالج، وبعد فحصه وسؤاله بعض الأسئلة التي تخص حالة قدميه، طمأنهم وأبلغهم أن الحالة تتحسن شيئًا فشيئًا، وأن حالته النفسية جيدة ومختلفة اليوم فلم يجده يبتسم أو يتكلم بهدوء وارتياح نفسي مثل اليوم، وهذا كله يبشر بالخير.

ندى: ولكن كيف لا يقدر على النهوض والوقوف على قدميه مع عدم وجود سبب عضوي يعيق ذلك.

الطبيب: لا تقلقي، فإذا تحسنت حالته النفسية مثل اليوم سيقف على قدميه مرة أخرى، ويمارس حياته أفضل مما كان عليه، فعلاقتي

بوالدك منذ فترة طويلة تُؤكد لي أنه يملك عزيمة وإرادة قوية ستدفعه للوقوف والتخلص من الكرسي هذا. ولكن نصيحتي له البُعد عن أي ضغط نفسي وعصبي وتجنُّب أي شيء يسبب له الضيق والحزن. وأنت سيكون لك دورًا هامًا في الأيام القادمة، فأنتِ المسؤولة أمامي من الآن بخلق جو من السعادة والفرح والأمل في هذا البيت حينها ستتحسن حالته ويشفى سريعًا.

ندي: مستعدة أن أفعل أي شيء وكل شيء لكي يشفي والدي تمامًا مهما كلفني الأمر.

وبالفعل كان اليوم الذي يمر على ندى منذ بدايته لنهايته مسخرًا لوالدها فقط، تجلس بجواره تشاهد معه التلفاز ويتبادلان الحديث عن كل شيء يحدث في الدنيا، فعاد الدفء إلى البيت وملأته الضحكات العاليه كسابقٍ.

وبعد مرور شهر ونصف من الشهر التالي من إجازتها سألتها والدتها: قربت إجازتك على الانتهاء يا ابنتي، ماذا ستفعلين؟ أستعودين مرة أخرى أم ستبقين معنا؟

ندى: لا يوجد مكان آخر أذهب إليه، سأظل بجواركما يا أمي، فبقائي بينكما هو عملي وشغلي الشاغل، فأنا لا أفكر في إجازة أو عمل أي شيء، أفكر فقط بكما وكيف أعوضكما عن غيابي، وأصلح كل شيء أفسدته وفي المقام الأول والأخير هو شفاء أبي، فلن أبعد عنكما مرة أخرى.

وتمر الأيام على ندى مرورًا غير طبيعي، فإنها تقوم بكل ما تقدر عليه لتحسن من حالة والدها؛ فكانت تفعل كل شيء بكل حب

كأنها تسير على أرض مليئة بالأشواك وهي حافية القدمين، يجب أن تجتاز هذا الطريق لتصل إلى أرض ممهدة تقدر أن تسير عليها وتكمل طريقها في هذه الدنيا.

وذات يوم ذهبت ندى لتشتري دواءً لوالدها، وكانت تمشي بخطوات بطيئة وفي خجل لا تنظر في وجوه من حولها، تمشي بجانب الطريق كأنها طفلة صغيرة تتعلم المشي تخشى أن تصطدم بشيءٍ وتقع على الأرض؛ فوجدت فتاة تنادي عليها باسمها، فنظرت خلفها لتجد هند جارتها التي كانت تلعب معها وهي طفلة وكانتا تذهبان سويًّا إلى نفس المدرسة بالمرحلة الثانوية، وافترقتا في مرحلة الدراسة الجامعية. فكل منهما دخلت كلية وجامعة غير الأخرى، وبعدها أصبحت العلاقة بينهما علاقة عابرة أو سطحية، تقابلان بعضهما صدفة أمام باب العمارة أو في أي مكانٍ قريبٍ منها.

فتبادلتا الحديث بعد عناقٍ شديدٍ وقُبلات حارة، وطلبت هند منها أن تأتي لزيارتها في بيتها؛ فقد تزوجت وأنجبت طفلين وأخبرتها بهذه المعلومة بعد أن علمت منها أنها لم تتزوج إلى الآن، وأنها كانت تعمل بالخارج.

فابتسمت لها ندى، ووعدتها بأنها ستزورها في أقرب فرصة ممكنة لرؤية طفليها ثم ودعتها وتفرقتا وذهبت كل منهما في طريقها.

اندهشت ندى كثيرًا من كلام جارتها وكانت تسأل نفسها: ياه.. هل كل شيء تغيّر هكذا وبهذه السرعة أم أنني لم أشعر بمرور كل تلك السنوات؟! هند التي كنت ألعب معها ونتشاجر على الألعاب والدمى أصبحت زوجة وأمًا لطفلين؟! سبحان الله.

وبعد شرائها الأدوية التي تنقص والدها، عادت إلى البيت ووضعت المفتاح في الباب لتفتحه وتفاجأت بوقوف والدتها أمامها كأنها تنتظرها وترتدي ملابس الخروج، فقلقت ندى وسألت والدتها: ماذا بك يا أمي؟ أين ستذهبين الآن وتتركين والدي بمفرده بالبيت؟

الأم: لا يا ابنتي لن أخرج وأذهب إلى أي مكان، ولكن كنت أنتظر عودتك فيوجد ضيف عندنا يجلس مع والدك بالداخل أخبرنا أنه يعمل معك بلندن ووصل بالأمس لينهي بعض الأعمال بمصر وجاء اليوم ليزورك.

ندى: زميلي من هذا؟ وما اسمه؟

الأم: اذهبي بنفسك يا ابنتي لتقابليه.

فدخلت ندى مع والدتها الغرفة التي يجلس بها والدها مع هذا الضيف الذي لم تعلم من هو.

الأب: أهلًا يا ابنتي لما تأخرتِ هكذا؛ فأستاذ أحمد جاء لزيارتنا فور ذهابك إلى الصيدلية.

ندي: كيف أتيت إلى هنا وكيف عرفت عنواني؟

الأم: ماذا بك يا ندى أهكذا تستقبلين ضيوفنا، وخاصة إذا كان زميلك ويعمل معك؟

ندى: آسفة يا أمي لم أقصد شيئًا؛ فبالطبع تشرفنا بزيارتك هذه يا أحمد، ولكن لم أكن أتوقعها أو أتوقع حتى أن أراك في مصر كلها وليس فقط في بيتي هنا وسط أسرتي الصغيرة.

أحمد: معك حق يا ندى، فهذه قلة ذوق مني أن آتي لكم دون

موعد أو إخبارك مسبقًا، ولكن فعلت ذلك لأنني قلقت عليك ومن سفرك المفاجئ هذا.

ندى: لا داعي لأي اعتذار، فإني تفاجأت فقط بوجودك، ولكن يا أبي أريد أن أوضح لك شيئًا؛ إن أستاذ أحمد ليس زميلي بالشركة، ولكنه صاحب شركات كبرى بلندن وعميل مميز يتعامل بصفة مستمرة ودائمة مع الشركة التي كنت أعمل بها. وأعتذر له لو كنت سببًا في تعطيل أعماله في شركتنا، أو يكون سفري هذا أثّر على شركتك، ولكني تركت كل شيء لسارة؛ فهي المسؤولة بدلًا مني الآن بمتابعة العمل.

أحمد: هي أخبرتني بذلك وتتابع معي فلا تقلقي، كل شيء على ما يرام. لقد أتيت فقط لزيارتك والاطمئنان عليك وعلى أسرتك الغالية التي لا تعوَّض؛ فوالدك شخص رائع يذكِّرني بالمرحوم أبي الذي حرمني منه الموت وأنا طفل صغير، ووالدتك أيضًا مثل والدتي تنبعث من عينيها ونظراتها إليّ أشعةً تحيطني بالحنان والدفء. فوجودهما حولك يغنيكِ عن الدنيا بما فيها، وأتمنى لوالدك الشفاء وأن تتحسن حالته قريبًا.

الأب: أنت شاب رائع يا أحمد تستحق كل خير وتجد كل ما تتمناه في هذه الدنيا فإنك إنسان رقيق وحساس في زمن تلاشت فيه الكثير من الصفات الجيدة والأصيلة.

نهض أحمد من مقعده ليودعهم ويشكرهم على حسن استقبالهم وترحيبهم به ووعدهم بزيارة أخرى قبل سفره. وهنا سألته ندى عن موعد عودته للندن؛ فقال لها إنه لم يقرر بعد فهذا يتوقف على أشياء يجب أن يقوم بها أولًا. وانصرف بعد مصافحته لندى وهو لا يريد أن يترك يدها ويدع أصابعها الرقيقة تخرج من أحضان أصابعه،

ولكنه تحكَّم في مشاعره ونظر إليها بكل ألم، ولكن عقله طمأنه وأوحى له أن الفائدة من هذه الزيارة هي رؤيتها ورؤية أسرتها والتعرف عليهم وذلك سيقرّب المسافات بينهما، وهذا شيء إيجابي استطاع أن يُطفئ به القليل من وهج ونيران شوقه لها وهدأ قلبه عندما رآها بخير أمام عينيه.

عندما علمت والدة ندى أنه ليس زميلها، وأنه من كبار رجال الأعمال والمستثمرين في لندن، تساءلت لماذا يهتم بغيابها عن العمل ويأتي لزيارتها ويسافر من بلد لبلد آخر بعيد! فهل السبب الحقيقي قلقه عليها مثلما قال أم يوجد شيء آخر دفعه ليأتي إليهم؟ ولكن لم ترغب في طرح هذا السؤال على ندى لكي لا تقوم بإحراجها أو الضغط على أعصابها فهي تعلم ابنتها جيدًا فهي حساسة ومرهفة المشاعر، وأي كلمة أو تلميح بأي شيء ممكن أن يجرح قلبها ويؤلمه، واكتفت بسؤالها عن شيء آخر غير متعلق بسبب هذه الزيارة.

الأم: يبدو عليه أنه في الثلاثين من عمره أو أكبر قليلًا، فهو في مثل عمرك فكيف يكون صاحب شركات كبرى مثلما تقولين، وأنه ناجح ومعروف في بلد أورُبيّة بهذا الحجم؟

ندى: إنه فعلًا شاب ناجح ومتميز في مجال عمله، ولكنه يدير شركات والدته فهي صاحبة كل ما يملك وكل هذه الشركات هي من أسستها؛ فإنها العقل الذي يدير كل شيء منذ نشأتها، وتعلَّم أحمد منها الكثير واكتسب من خبرتها وأصبح ناجحًا مثلها، فهي صاحبة الفضل عليه، وهي سيدة أعمال ناجحة، ولكنها كبيرة في السن، وأعطته كل مفاتيح المهنة، وكان على قدرٍ عالٍ من المسؤولية ولم

يخذلها؛ فأحمد ليس ككل رجال الأعمال، فإنه يختلف عن الكثيرين؛ فهو متواضع جدًا ويتعامل مع الجميع دون تكبُّر أو عجرفة، وكل من يعمل معه -سواء كان داخل شركته أو خارجها- يعتبره صديقه ويهتم بأموره الشخصية، وأي أحدٍ يجده في مشكلة يحاول جاهدًا مساعدته بكل طريقة متاحة.

الأب: ما كل هذا الإعجاب بشخصيته؟! أنت في العادة قليلة الإطراء على أي شخص مهما كان.

فشعرت ندى وقتها بالإحراج الشديد من كلام والدها، ووجدت والدتها تنظر إليه كأنها تلومه على كلامه فاستأذنتهما ندى بكل ذوق وهدوء لتدخل غرفتها لتنام.

الأم: لماذا علقت عليها هكذا؟ أنت تعرفها أكثر مني، هي لن تتحمل منا أي تلميح أو تعقيب بخصوص هذا الموضوع، وأنا أيضًا كان يدور برأسي أسئلة، ولكني امتنعت عن سؤالها إياها مراعاة لمشاعرها.

الأب: لم أقصد بكلامي أي تلميح، فأنا أيضًا أراعي مشاعرها وأتحسس كل كلمة أنطقها، ولكني قلت ذلك بكل تلقائية وعفوية ولم أتوقع أنه سيضايقها أو يلمس شيئًا بقلبها المسكين. قولي لي ماذا أفعل الآن، أأذهب لغرفتها وأعتذر منها؟

الأم: اتركها الآن حتى لا نزيد عليها أي ألم؛ فمن الممكن أن تكون متعبة حقًا ولن تبالي بكلامك.

الأب: حسنًا، ولكن بعد فترة اذهبي إليها وهوني عليها.

وبالفعل انتظرت والدتها لفترة من الوقت ثم دخلت عليها غرفتها فوجدتها مستيقظة جالسة في الظلام فقالت: ألم تنامي يا ابنتي حتى الآن؟

ندى: أحاول أن أنام، ولكن عيني لا تريد أن تغمض جفنها.

الأم: لا تنامي وفي قلبك أي غصة من أي شيء.

ندى: أنا بخير ولا يوجد شيء بقلبي غيركما.

الأم: هل انزعجتِ من كلام والدك؟

ندى: لا لن أنزعج، فإنه لم يقل شيئًا يستدعي ذلك، وأنا أعلم مايدور برأسيكما وماذا تريدان أن تسألاني عنه فاقرأ ذلك في نظراتكما لي دون أي كلام. أحمد مجرد صديق ليس أكثر وأنا أخبرته منذ تعارفنا أن علاقتنا لن تتعدى حدود الصداقة، فتعلمين ماحدث لي مسبقًا، وأنا غير مستعدة للخوض في أي علاقة مع أي شخص وتحت أي مسمى ولكني سمحت له بأن يكون صديقًا لي وفي حدود.

الأم: ولكنك أصبحت أكثر نضجًا وخبرةً وتتعاملين مع كل الأجناس من كل البلاد المختلفة، وتملكين القدرة على التمييز بين الصادق والكاذب، فلن تتوقف هذه الحياة عند شخص سيء قابلتِه وارتبطتِ به.

ندى: أرجوكِ يا أمي لا أريد الغوص في أعماق الماضي فحياتي غير أي حياة أخرى وأنا اتخذت قراري، لن أدخل في أي علاقة ثانيةً، وبخصوص أحمد قد تكون هذه الزيارة هي الأخيرة التي أراه أو يراني فيها فلن أعود لعملي بلندن نهائيًا مهما كانت الظروف أو تحت أي ضغط فلن أترككما ثانية.

الأم: لن أطيل عليك حبيبتي سنكمل حديثنا غدًا.

نـدى: تصبحـين عـلى خـير يـا أمـي، ولكـن انتهـى حديثنـا في هـذا الأمـر وليـس لـه بقيـة.

في صبـاح اليـوم التـالي رن هاتفهـا فاسـتيقظت عـلى صوتـه وعندمـا وضعتـه عـلى أذنهـا سـمعت صوتًـا هادئًـا وحنونًـا يقـول لهـا: صبـاح الخـير يـا أمـيرتي، أنـا أحمـد.

فردت عليه: أعرف صوتك جيدًا. صباح الخير.. كم الساعة الآن؟

أحمد: إنها التاسعة صباحًا، فهل أنت نائمة لهذا الوقت؟

ندى: ولِمَ لا أنام لهذا الوقت أو لما بعده؟!

أحمد: أنتِ معتادة على الاستيقاظ مبكرًا.

نـدى: إذا كان ينتظـرني عمـل أذهـب إليـه مرتبـطٌ بوقـت معـين فإننـي أسـتيقظ مبكـرًا لكنـي في إجـازة ولي حريـة التـصرف في وقتـي.

أحمـد: لـو تريديـن أن ننهـي المكالمـة وأتصـل بـكِ في وقـتٍ آخـر يكـون مناسـبًا سـأفعل ذلـك

نـدى وهـي تتثـاءب ويتغلـب عليهـا النعـاس قالـت: يكـون أفضـل يـا أحمـد، فسـأكمل نومـي الآن، وأنـا سـأقوم بالاتصـال بـك عـلى نفـس هـذا الرقـم.

أحمد: سأنتظر مكالمتك، وآسف أني ايقظتك هكذا.

أغلقـت الهاتـف سريعًـا وحضنـت وسـادتها وهـي تقـول الوقـت غـير مناسـب لأي شيء سـوى النـوم والبعـد عـن الواقـع الـذي أعيشـه بـأي طريقـة. أتمنـى أن أبقـى نائمـة وتائهـة بـين الأحـلام ولا أصحـو أبـدًا.

مر على هذه المكالمة يومان كاملان وهي لم تتذكر أن أحمد اتصل بها أو أنها وعدته بأن تتصل به في وقت لاحق؛ فقد كانت تنشغل مع والديها وتقضي كل يومها في الحديث معهما والاهتمام بهما، فترى وتلمس تحسن صحة والدها رويدًا رويدًا، فأحيانًا يقف على قدميه ممسكًا بيدها لبعض من اللحظات وكانت تسعد بذلك وتشجعه أو تجبره على تكرار المحاولة بين الحين والآخر لكي تطول فترة وقوفه عن المرة التي قبلها.

وكانت ندى تشغل عقل أحمد وتفكيره ويتشوق لرؤيتها مرة أخرى، فترك عمله ووالدته ليقابلها ويشبع قلبه وعينيه من رؤيتها، فيجلس طوال اليوم ينظر لهاتفه ليرى اسمها على شاشته عندما يرن وتتصل به ويتتبع عقارب الساعة ليلًا ونهارا في انتظار مكالمتها، وقتله الانتظار بلا أمل، وهكذا عقله سيجنّ من تجاهلها له، فقرر الاتصال بها.

ورن هاتفها ورأت اسمه قالت لنفسها: آه من عقلي.. نسيت أنه ينتظر مكالمتي. فأجابته سريعًا

أحمد: أين أنتِ؟ لماذا لم تتصلي بي منذ يومين؟ هل حدث شيء مكروه لك أو لوالديك؟

ندى: لا نحن بخير، ولكن اعذرني انشغلت مع والدي وجلسات علاجه ونسيت أن أتصل بك.

أحمد: هل يوجد جديد في حالته؟ أخبريني فإنه في مقام أبي لو تحتاجين مساعدتي؟

ندى: إنه يتحسن والحمد لله، ويستطيع الوقوف على قدميه لقليلٍ من الوقت.

أحمد: أسعدتِني بهذه الأخبار.

ندى: لماذا تظل بمصر إلى الآن؟

كيف تسألينى عن سبب بقائي وأنتِ سببي الوحيد لبقائي هنا؟!

نـدى: أنـا غـير مقتنعـة بكلامـك هـذا؛ أنـك جئـت مـن لنـدن لـتراني وتطمـئن عـليّ فقـط.

أحمـد: لمـاذا تشـككين في كلامـي فتركتِنـي فجـأة دون أن تعطينـي أي فكـرة عـن سـفرك أو تودعينـي عـلى الأقـل ولم أتعـوّد عـلى البعـد عنـك.

نـدى: لمـاذا تُشـعرني بالذنـب تجاهـك وتلومنـي عـلى شيء كأني مقـصرة في حقـك؟! فأنـا عـدت لبلـدي ولأسرتي ولم أهاجـر لمـكان لم يعلمـه أحـد. كان مـن السـهل عليـك أن تتصـل بي مـن لنـدن وتسـألني كل هـذه الأسـئلة، فالأمـر أبسـط مـن أن تسـافر وتبعـد عـن عملـك كل هـذا الوقـت فـكل شيء يقـال عـبر الهواتـف، فنحـن في زمـن التكنولوجيـا وليـس الحـمام الزاجـل.

أحمـد: ليـس كل مـا بداخلنـا يمكـن أن نعـبّر عنـه في الهاتـف أو في رسـالة إلكترونيـة. أريـد مقابلتـك مـرة أخـرى لـكي تعلمـي بالسـبب الحقيقـي لمجيئـي.

نـدى: إذًا سـأنتظر منـك زيارتنـا مـرة أخـرى غـدا في الوقـت الـذي تختـاره.

أحمـد: اعذرينـي فالـكلام الـذي أريـد أن أقولـه لـك لـن أقـدر عـلى قولـه في بيتـك أمـام والديـك، ولكنـي سـآتي لزيارتهـما في وقـت آخـر، فاسـمحى لي أن أقابلـك في أي مـكان تختارينـه أنـت غـدًا.

نـدى: لا يوجـد بيننـا أسرار أو شيء أخفيـه عـن والـدي، وأيضًـا نحـن لسـنا بلنـدن، فهنـا يوجـد فـرق بـين عـادات وتقاليـد المجتمـع الغـربي والشرقـي الـذي ينبـذ جلـوس شـاب وفتـاة بمفردهـما دون أن تكـون بينهـما علاقـة يعلمهـا الجميـع وأيضًـا يجـب أن أسـتأذن والـدي أولًا، وبعدهـا سـأعلمك برأيـه.

أحمـد: أحـترم كل كلامـك، وأعلـم أن لـك مبـدأ دائمـا تلتزمـين بـه، ولكـن يـا نـدى نحـن ناضجـان كفايـة ولسـنا في سـن المراهقـة نجلـسُ سـويًّا عـلى الطريـق.

نـدي: دعنـي أولًا أعـرض هـذا الأمـر عـلى أمـي وأبي فأنـا مسـؤولة منهـما وسـوف أتصـل بـك مـرة أخـرى.

كانـت نـدى تقـول لـه هـذه المـبررات لأنهـا لا تريـد مقابلتـه مـن الأسـاس وتعلـم جيـدًا ثقـة والدهـا ووالدتهـا بهـا وأنهـما تركاهـا تسـافر وحدهـا وتعيـش كل هـذا الوقـت بمفردهـا في بلـدٍ أجنبـي تختلـف عاداتـه عـن عاداتنـا وتقاليدنـا الشرقيـة، تركاهـا لأنهـما يثقـان بأخلاقهـا وتصرفاتهـا وقراراتهـا المسـؤولة، ولكنهـا تحججـت بذلـك لأن ليـس لهـا أي رغبـة بـأن تجلـس معـه أو تتحـدث معـه في أي شيء، فإنهـا أولًا وأخـيرًا سـتترك عملهـا، ولـن يكـون لهـا أي صلـة بـأي شـخص قابلتـه هنـاك مـرة أخـرى سـوى تبـادل المكالمـات الهاتفيـة.

جلسـت نـدى تفكـر بأشـياء كثـيرة تـدور بذهنهـا ومـن ضمنهـا سر إلحـاح أحمـد الشـديد هـذا وإصراره عـلى مقابلتهـا بمفردهـا. وعندمـا وجدتهـا والدتهـا تجلـس صامتـة كأنهـا تفكـر في شيء هـام، سـألتها عـن سـبب جلوسـها هكـذا، فأخبرتهـا نـدى بـكل مـا حـدث بينهـا وبـين أحمـد

وتعجبت والدتها من طلبه هذا وقالت لها: لا أنكر أنني عندما رأيته لمس شيئًا في قلبي وشعرت بأنه خلوق ومحترم عند حديثي معه، ولكن أتعجب، لماذا طلب منك أن يقابلك بعيدًا عن أعيننا؟

ندى: لا أعلم يا أمي فهذا ما حدث.. ماذا أفعل الآن، فأنا في حيرة من أمري وهو ينتظر مني الرد.

الأم: سأروي ذلك لوالدك وأرى ماذا سيقول لي وسأخبرك.

حينها كانت تتمنى ندى ألا يقبل والدها ويرفض أن تذهب لمقابلته، وبذلك سيكون سبب الرفض من والدها عندما تخبر أحمد ليكف إلحاحه عنها.

فعلم والدها بكل ما حدث، وذهب لندى بغرفتها، وقال لها: ماذا تريدين يا ابنتي؟ هل فعلًا ترغبين في مقابلته وتنتظرين موافقتي على ذلك أم ليس لك الرغبة من البداية لهذا اللقاء وتنتظرين رفضي كطوق نجاة لك؟ أجيبيني بصراحة.

ابتسمت له ندى وقالت: أبي لا تحاصرني بذكائك هذا، فأنت تضع عقلك داخل عقلي وترسل قلبك ليتجسس ويراقب ما يشعر به قلبي.

الأب: أفهم من ذلك أن أسئلتي هذه نجحت في وصف ما تفكرين به وأنك تنتظرين رفضي أولًا.

ندى: أرجوك يا أبي لا تستخدم كل هذا الذكاء معي فإني لا أقدر عليه.

الأب: أجدك تُحمّلين نفسك فوق طاقتها، فالأمر أبسط من ذلك يا حبيتي، اذهبي وقابليه واعلمي ماذا يريد منك كأننا نجلس معك، وثقي دائمًا بنفسك.

ندى: لكنني لا أريد الذهاب فعلًا؛ فأنا لست مستعدة أو متقبلة أن أجلس مع أي أحد لأستمع لكلامه حول أي شيء.

الأب: ستذهبين يا ندى وأنت مستعدة وصافية الذهن أيضًا، فأنت قادرة على فعل ذلك في أي وقت مهما كانت الظروف التي تحيط بك.

ندى: سأفكر أولًا وبعدها سأخبره ماذا سأفعل.

الأب: افعلي ما قلته لك بدون أي تفكير أو تأجيل.

فتنهدت وقالت سأفعل برغم رفضي وعدم اقتناعي، ولكن سأحترم رغبتك وكلامك هذا وسأقوم بتنفيذه. ولكني لن أتصل به اليوم، سأحدثه غدًا صباحًا عندما أستيقظ، فلا يوجد شيء هام يستدعي التسرع.

صباحًا أخبرته بأنها ستقابله في الموعد والمكان الذي قامت باختياره، والتقيا بعدها، وكانت مرتبكة ومحرجة كثيرًا تتلفت يمينًا ويسارًا، وأخذت نفسًا عميقًا ثم جلست ووضعت يديها على المنضدة ونظرت له وقالت: ها أنا الآن أجلس أمامك وبمفردنا فما هو الشيء الذي تريد التحدث معي عنه؟

أحمد: قبل أي حديث أو التطرق لأي شيء، أريد أن أشكرك أولًا لقبولك طلبي هذا فأنت لا تشعرين بمدى سعادتي الآن وأنت تجلسين أمامي هكذا.

ندي: يجب أن تشكر والدي أولًا فهو من سمح لي بهذا اللقاء.

أحمد: سأشكره طبعًا عندما ألقاه.

وصمت قليلًا وكان ينظر إليها نظرات دافئة تحمل الكثير من الحب والشوق، ولكنها كانت تنتظر أن ينطق بأي شيء وقالت: ما بك يا أحمد ما هذا الصمت؟

أحمد: أنت تعلمين ما بداخل قلبي.

ندى: لا أفهم كلامك هذا، ماذا تقصد به؟

أحمد: ليس مجرد كلام يا ندى أتمنى أن تفهمي أنه إحساس، فأنا من أول مرة رأيتك فيها وقلبي تعلق بك، ووجهك البريء هذا لم يغب عن عيني، أحبك يا ندى.. أحبك.. بل أعشقك بكل جنون.

ندى: ما هذا الكلام الذي تقوله؟ كيف تحبني كيف؟

أحمد: ما بك يا ندى لماذا تصرخين هكذا؟! فالحب ليس جريمة.

ندى: أريد أن أذهب الآن، جئت لمقابلتك لأني اعتقدت أن يوجد شيء هام خاص بالعمل بيننا تريد أن تحدثني فيه، وأنت تقول هذا الهراء.

أحمد: أي عمل الآن يا ندى أنا أحبك هل سمعتِ؟ شخصٌ أحبك ويعبّر لك عن مشاعره بكل صراحة وصدق، ما الغريب في ذلك؟

ندى: لا يجب حدوث ذلك، ولن أسمح به مع أي شخص، لا يجب لأي إنسان أن يشعر بأي إحساسٍ تجاهي، فأنا أكره هذه الكلمة ولا أريد سماعها مطلقًا.. أكرهها.

أحمد: أتعجب لكلامك الغريب هذا، كان من الممكن أن تقولي أنكِ لا تحبينني، ولكن أن تقولي أنك تكرهين الحب نفسه، هذا غريب جدًّا.

نـدى: أنـا إنسـانة غريبـة، وأختلـف عـن باقـي البـشر، ولسـت الإنسـانة التـي تسـتحق حبـك العظيـم هـذا.

أحمـد: لا أقصـد إهانـة في كلامـي هـذا صدقينـي، ولكنـي صدمـت مـن ردة فعلـك تجـاه كلامـي الآن.

نـدى: أسـتاذ أحمـد أنـا وأنـت تعرفنـا في لنـدن وكان مـن خـلال العمل، وقبلـت صداقتـك لأننـي كنـت أراك وأتعامـل معـك كثـيرًا هنـاك، لكـن الآن أنـا بمـصر ولا يوجـد بينـي وبينـك أي عمـل لـكي تكتمـل هـذه الصداقـة بيننـا، وأريـد أن أضيـف لـك وأقـول شـيئًا هامًـا قبـل أن أذهـب، إني لـن أعـود مـرة أخـرى إلى لنـدن؛ لأننـي قـررت تـرك العمـل بهـا، وسـأبقى هنـا بجـوار أسرتي إلى آخـر يـوم في عمـري؛ فلذلـك سـتكون هـذه المـرة الأخـيرة التـي سـتراني فيهـا وبعدهـا ستسـافر وتعـود إلى حياتـك ووالدتـك وشركاتـك وسـتمحو الأيـام والأحـداث التـي سـتمر بـك كل شيء يتعلـق بي وستنسـاني سريعًـا، فأنـت تشـعر أنـك تحبنـي وتتوهـم ذلـك لأنـك اعتـدت أن تـراني كثـيرا أمـام عينيـك، ولكـن عندمـا أختفـي مـن حياتـك ولا تـراني مطلقًـا فلـن تشـعر وقتهـا بـأي إحسـاسٍ تجاهـي وسـتتأكد أن كل هـذا وهـم ومشـاعر مؤقتـة أو زائفـة.

أحمـد: لا يـا نـدى كل كلامـك هـذا ليـس صحيحًـا، فأنـا حقًـا أحبـك، وحبـي هـذا ليـس تعـودًا أو وهـمًا، وأنـا تأكـدت مـن حبـي لـك قبـل أن ألقـاك وأعـبّر لـك عنـه.

نـدى: أعتـذر لـك.. ولكـن هـذا هـو الواقـع لأننـا سـنفترق وأختفـي مـن حياتـك إلى الأبـد، وحينهـا سـتقابل إنسـانة أخـرى تشـعر نحوهـا بحـب حقيقـي وليـس مزيفًـا.

أحمد: لن أسمح لكِ بذلك فأنا سأتمسك بحبي، وأعلم أنك أيضًا بداخلِ قلبك مشاعر حب تجاهي، لكنني أندهش من إنكارك لحبك هذا وإخفائه هكذا.

ندى: تتوهم أيضًا أنني أحبك، أنت مسكين ولا تعرف عني شيئًا.

أحمد: بالعكس.. فأنا أعرف عنك كل شيء، وأعلم بكل ما حدث لكِ منذ تخرجك من الجامعة وعملك بالصحافة وخطبتك التي لم تكتمل بسبب إنسان غير مسؤول وانتهازي أحببتِه وأعطيتِه قلبك وأضعتِ عمرك بجواره هباءً.. وفي النهاية تخلّى عنك وتركك وهو الذي لم يستحق حبك له.

فقاطعت ندى حديثه ونهضت من مقعدها وقالت: ما الذي تقوله؟ من الذي سمح لك بأن تفتش عن أسراري وتبحث عن حياتي السابقة؟! من أنت لكي تفعل ذلك؟! كنت مخطئة حين اعتبرتك صديقًا لي واحترمت هذه الصداقة وأخطأت أكثر عندما جئت للقائك الآن فأنت أسوأ وأبشع إنسان قابلته في حياتي ونادمة على معرفتي بك.

تركته وذهبت وهي تبكي بكاءً شديدًا من صدمتها وسماعها أحمد وهو يروي لها كل تفاصيل حياتها وأيضًا يواجهها بها بكل سهولة هكذا.

وشعر أحمد بالندم كثيرًا عندما وجدها تبكي هكذا وهي تجري من أمامه تريد أن تختفي عن عينيه، وظل جالسًا في مكانه لا يعلم ماذا يفعل.

عادت ندى إلى البيت ودموعها تنهمر على وجهها، ترى ما أمامها مجرد خيال غير واضح الملامح، لا تصدق ما سمعته من أحمد، وكانت بحالة سيئة واضحة لأي شخصٍ يراها وعندما دخلت البيت وقعت على الأرض مغشيًاعليها أمام والدتها ووالدها، فصرخت الأم بكل شدة وخوف على ابنتها الملقاة على الأرض بهذا الشكل وأحضرت زجاجة من العطر بكل سرعة لكي تستنشقها ندى وتفيق. رفعت رأسها عن الأرض على ذراعها حتى بدأت ندى تفتح عينيها.

فكانت تلتقط أنفاسها بكل صعوبة وطلبت والدتها من زوجها أن يتصل بالإسعاف حتى تنقل ندى إلى المشفى ليقوموا بإسعافها للاطمئنان عليها وإذا بندى تقول بصوت منخفض جدًّا: أنا بخير يا أمي.. لا داعي لطلب الإسعاف، ساعديني فقط لكي أنهض وأدخل غرفتي لأرتاح وسأكون بخير.

الأب: أنتِ لستِ بخير يا ابنتي فأنا السبب في حدوث هذا لك، أنا الذي ألححت عليك وأجبرتك على الذهاب للقائه وحدوث ذلك كله.

الأم: انهضي الآن يا ابنتي واستريحي وسأطلب لك الطبيب في الحال.

ندى: لا أحتاج إلى أي طبيب يا أمي، أحتاج فقط للراحة وسأكون بخير .

ونهضت ندى بمساعدة والدتها، ودخلت غرفتها وأحضرت لها كوبًا من العصير المليء بالعسل لتتحسن حالتها سريعًا. وجلسا بجانبها ينظران إليها ويترقبان أي شيء سيحدث لها.

سألها والدها: بماذا تشعرين الآن يا ابنتي؟

ندى: أنا بخير يا أبي لا تقلقا عليّ، ولكن الماضي لا يريد أن يتركني، الماضي سيظل يلاحقني ويركض خلفي ليوقع بي ويقضي على مرة أخرى.

الأم: ماذا تعنين بكلامك هذا يا حبيبتي؟ وما الذي حدثَ كي يلحق بك كل هذا التعب والإجهاد؟

الأب: لا وقت الآن يا عزيزتي لإجهادها بأي سؤال، اتركيها تهدأ وتستقر حالتها أولًا، وبعدها ستحكي لنا كل ما حدث.

ندى: لا يا أبي، أريد الآن أن أخبركما بما حدث لي

الأب: قولي يا ابنتي.

ندى: أحمد كان على علم بكل شيء حدث لي في الماضي، يعرف بخطبتي السابقة وكيف تركني خطيبي بكل نذالة وخسة، وكان يعلم أني تركت عملي بالصحافة وسافرت للندن هاربة من كل ذلك فواجهني بكل شيء وبكل التفاصيل كأنه كان يعيش بيننا.

الأم: وكيف علم بذلك ومن روى له كل هذه التفاصيل؟

ندى: لا أعرف من قال له كل هذا وكشف أسراري له.

الأب: فلماذا تكلم معك في كل هذه التفاصيل التي تخص حياتك الشخصية؟ ماذا سيعود عليه من ذلك؟!

ندى: ألم تفهم يا أبي حتى الآن؟! إنه يتوهم أنه يحبني ويريد أن يرتبط بي ويعتقد أنني أبادله نفس الشعور.

الأم: وإذا كان فعلًا يحبك ويريد الارتباط بك، ما شأنه فيما تعرضت له مسبقًا فهذا شيءٌ يخصك وحدك.

نـدي: ليـس هـذه المشـكلة فقـط يـا أمـي، ولكـن كيـف يريـد الارتبـاط بي مـن الأسـاس وأنـا أتعامـل معـه كصديـق فقـط، وكيـف يجـرؤ عـلى التجسـس عـليّ، والبحـث في دفاتـري القديمـة التـي تركتهـا وراء ظهـري منـذ وصـولي لنـدن.

فضمهـا والدهـا إلى صـدره ليشـعرها بالأمـان وقـال لهـا: اهـدئي يـا ابنتـي وانـسي كل مـا حـدث لـك اليـوم، واعلمـي أنني بجانبـك، لـن أسـمح لأي مخلـوق في هـذه الدنيـا أن يجرحـك أو يـؤذي مشـاعرك الرقيقـة. وقبَّـل رأسـها وأكمـل: فأنـت طفلتـي الصغـيرة المدللـة، ومهـما كـبرتِ سـأعتبرك طفلتـي، وسـأبعد عنـك أي شيء يسـبب لـك الحـزن أو الأذى، اسـتريحي الآن ونامـي وتأكـدي أننـا بجـوارك في حمايتـك مـن أي شيء.

وتركاهـا لتنـام، وتمنـت نـدى أن تكـون نسـت مـا حـدث عندمـا تسـتيقظ في الصبـاح. وفي الصبـاح دخلـت والدتهـا غرفـة نـدى لتطمـئن عليهـا، فوجدتهـا مسـتغرقة في النـوم ورغـم ذلـك أرادت أن تيقظهـا لـكي تتنـاول الفطـور معهـما، فـالآن السـاعة الثانيـة عـشرة ظهـرًا وتحسسـت شـعرها بـكل حنـان وهـدوء فشـعرت بهـا نـدى، ونظـرت إليهـا وسـألتها عـن السـاعة، وعندمـا علمـت بأنهـا نامـت كل هـذا الوقـت قالـت لوالدتها: لمـاذا تركتِنـي نائمـة كل هـذا الوقـت يـا أمـي، كان يجـب أن أعطـي الـدواء لأبي في موعـده.

الأم: لا تقلقـي يـا حبيبتـي فأنـا أعطيتـه الـدواء في موعـده، والآن انهـضي لتتنـاولي الفطـور معنـا.

نـدي: اعذريني يـا أمـي فأنـا لسـت بجائعـة الآن، تنـاولا فطوركـما وأنـا سـآكل عندمـا أشـعر بالجوع.

فسمعها والدها وهي تقول ذلك وكان في طريقه لغرفتها وهو يتكأ على عكازين بدلًا من الكرسي المتحرك وقال: من الذي يقول إنه ليس بجائع الآن ولا يريد أن يفطر معي؟! لن أتناول أي طعام إلا وثلاثتنا سويًا.

ندي: حسنًا يا أبي سآكل معكما حتى تأكل أنت أيضًا.

وقامت معهما لتناول الفطور سويًا.

سافر أحمد إلى لندن وهو يشعر بالحزن الشديد وقلبه يتمزق، ويرى كل الطرق مسدودة بينهما، ولا يوجد أمل في ارتباطه بها، وتملكته حالة من اليأس والأسى وأهمل عمله بعد انقطاعه لأسابيع عن ذهابه للشركة، وكان يقضي كل يومه في الملاهي الليلية حتى والدته كانت لا تعلم أين هو ولم تره منذ فترة طويلة، فأحيانًا تتواصل مع أصدقائه لتسأل عنه.

سمعت عنه أخبارًا سيئةً وأنه في حالة مزرية يرثى لها، وانفطر قلبها عليه، فأي أم لا تتحمل أن تعلم أفعال ابنها المخجلة هذه، يسهر في البارات ويشرب كل أنواع الخمور والمسكرات حتى يفقد وعيه كل ليلة، ومن أخبرها بذلك كان لا يعلم أين يقيم أحمد وإلى أين يذهب بعد كل سهراته وزلاته هذه يرونه صدفة في تلك الأماكن.

تذهب والدته كل يوم تبحث عنه في أوقات مختلفة ولم تجده بعد، تسأل العاملين عنه وتعطيهم أموالًا كثيرة للاتصال بها وإخبارها إذا كان موجودًا أمامهم ولكنهم لا يفعلون ذلك فيعتبرونه زبونًا مهمًّا يدفع الكثير كل يوم ويقضي عندهم أوقاتًا ممتعة يكسبون من ورائها أموالًا طائلة فلا يريدون خسارة وفقد هذا الكنز الذي يلقيه بين أيديهم بكامل إرادته.

ولكنه لم يستطع نسيان ندى أو أن يتخلص من حبها الذي أسر قلبه، خسر صحته وأهدر وقته وتسبب في تدمير مستقبله وتلويث سمعته وسمعة شركته بكل هذه الأفعال المشينة.

بعد مرور ثلاثة شهور منذ وصول ندى لمصر تحسنت الحالة الصحية لوالدها كثيراً بعد تذللها كل ليلة لربها لكي يشفيه ويزيل إحساسها بالذنب تجاهه، واتصلت بمديرها بلندن لتخبره أنها قررت ترك العمل نهائيًا، فحزن كثيراً، فإنها موظفة مجتهدة ومتميزة وخلوقة ستخسرها الشركة. وعندما وجدها تصر على ذلك تمنى لها التوفيق والنجاح في أي شيء ستفعله في حياتها، وأبلغها أن لها مستحقات مالية يجب أن تتحصل عليها وأوراقًا يجب أن توقع عليها بنفسها لتخلي طرفها من الشركة.

فطلبت منه أن يعطي كل مستحقاتها المادية لصديقتها سارة كهدية صغيرة منها. وعندما علمت والدتها قالت لها: لا يوجد قلب في هذه الدنيا أطيب وأرق من قلبك يا حبيبتي، ولكنك تركتِ معظم ملابسك ومتعلقاتك الشخصية هناك فهل ستهديها لسارة أيضًا؟

ندى: تركت أشياء كثيرة عزيزة على قلبي بلندن كنت معتقدة أنني سأعود مرة أخرى بعد إجازتي فتركت صوري وأنا صغيرة وصوري معكما، فهذه ذكريات طفولتي.

الأم: إذا يا ابنتي لا يوجد خيار أمامكِ سوى السفر للندن لتحضري كل ما يخصك وتنهي الإجراءات القانونية لترك العمل.

ندى: ماذا تقولين يا أمي؟

الأم: يومان فقط يا ابنتي، ولن يحدث لنا أي شيء سيء في هذه

الفترة إن شاء الله، وإذا علم والدك سيقول لك سافري دون أي تفكير أو قلق علينا.

فقررت ندى السفر لمدة يومين لتنهي كل شيء هناك وتعود بسرعة لأسرتها الغالية، وتطوي هذه الصفحة من حياتها. وبالفعل سافرت إلى لندن، وعندما وصلت إلى مسكنها لم تجد سارة موجودة بالبيت فجلست لترتاح أولًا بعد اتصالها بوالدتها لتعلمها بوصولها.

جاءت سارة بعد فترة وتفاجأتْ بوجود ندى أمامها وقالت لها: لا أصدق عينيَّ ما هذه المفاجأة الجميلة، لماذا لم تخبريني بموعد وصولك لأكون باستقبالك في المطار؟

ندى: لم أرد إزعاجك، فأنا أعلم بأنك مجهدة من العمل.

سارة: افتقدتك كثيرًا يا صديقتي منذ أول يوم سافرتِ فيه وأنا أشعر بالوحدة والغربة هنا، فعانقتها ندى وقبّلتها.

ندى: وأنا أيضًا افتقدتك كثيرًا، أخبريني كيف كنت تقضين وقتك في غيابي؟

سارة: تعلمين جيدًا الحياة هنا، العمل ثم العمل، ويوم الإجازة أخرج مع زملائنا نتنزه قليلًا أو نقوم بشراء ما ينقصنا فلا يوجد شيء جديد، طمئنيني أولًا على والدتك وعلى صحة والدك الآن.

ندى: بخير والحمد لله فأبي تحسن كثيرًا، وعاد يمشي على قدميه مرة أخرى.

سارة: هذه أخبار جيدة، فرحت بذلك، فبالطبع وجودك ساهم في شفائه.

ندى: ولهذا السبب قررت شيئًا يرتبط بعملي هنا.

سارة: قرار ماذا؟

نـدى: سـأترك العمـل نهائيًـا، وسـأظل بجـوار أسرتي فقـط، وجئـت اليـوم لأنهـي كل شيء في الشركـة ولآخـد كل أغـراضي مـن هنـا.

سـارة: كيـف سـتفعلين ذلـك يا نـدى؟! سـتتركين العمـل نهائيًّا وتعودين لمـصر ولـن أراك ثانيـة؟! مـا سـبب قـرارك؟ قلتِهـا بنفسـك أن والـدك حالتـه تحسـنت، فعـودي لعملـك وحياتـك هنـا فـكل شيء أصبـح بخير.

نـدى: مـرض والـدي كان بسـبب بُعـدي عنهـم وليـس بسـبب عضـوي، فـإذا تركتـه مـرة أخـرى سـتنتكس صحتـه وتسـوء أكـثر مـما كانـت عليـه ووقتهـا النـدم لـن ينفعنـي.

سـارة: مـن الواضـح أنـك أتيـتِ إلى هنـا وقـرارك نهـائيٌّ وأي كلام سـأقوله لـن يغير مـن قـرارك.

نـدى: أريـدك أن تفهمينـي يـا صديقتـي وتقـدِّري موقفـي وتشـعرين بالعـبء الـذي أحملـه فـوق كاهـلي. يعـز عـليَّ فراقـك والبُعـد عنـك وأتمنـى أن تـأتي لمـصر في إجازتـك وتقيمـي معنـا بالمنـزل، وأنـا أيضًـا مـن الممكـن أن آتي لزيارتـك فجـأة مثـل اليـوم فلـن تنقطـع علاقتنـا وصداقتنـا نهائيًـا إن شـاء اللـه.

سـارة: أخـاف أن يكـون مجـرد كلام لتقلـلي مـن حـزني عـلى فراقـك والبُعـد عنـك يـا صديقتـي العزيـزة. ومتـى سـتعودين لمـصر؟ فبالتأكيـد قمـتِ بالتخطيـط لـكل مـا سـتقومين بفعلـه.

نـدى: حـوالي يومـين، فهـذا يتوقـف عـلى انتهـائي مـن الإجـراءات القانونيـة في الشركـة.

سارة: يصعب عليّ أن أراك في الشركة تنهين كل شيء لتبتعدي وترحلي عنا، ولكنك وعدتِني أن نلتقي مجددًا وتدوم صداقتنا. فعانقتها ندى مرة أخرى وملأت الدموع أعينهما.

سارة: سأتركك لترتاحي الآن، ولكن سنقضي الليل بطوله معًا لنحكي لبعضنا ما حدث لكِ ولي في الفترة السابقة.

جلست ندى في غرفتها، وكانت تشك في مديرها أنه هو من أخبر أحمد بكل تفاصيل حياتها. كيف ستقابله غدًا وهي تعلم أنه أفشى سرها؟! هل تقابله بطريقة تشعره بأنه أخطأ في حقها فتعاتبه أم تتجاهل ما حدث ولا تخبره عن شيء كأن شيئًا لم يحدث وتنهي ما جاءت من أجله؟

وبعد تفكيرٍ طويل قررت عدم المواجهة لأنها لن تفيد بشيء؛ فهي لن تراه ثانية ولن يكون بينهما أي اتصال بعد الآن من قريبٍ أو بعيد، وأيضًا لا تريد أن تنبش في الماضي أو أن يدور حوله أي حوار.

وبينما يخلد الجميع للنوم وينتهي يومهم في هذا الوقت المتأخر من الليل، تبدأ رحلة البحث عن أحمد. فوالدته تعلم أنه يبدأ يومه في مثل هذه الساعة وتبدأ سهرته، فعند دخولها إحدى الملاهي الليلة وبحثها بعين محدقة بين الجالسين والواقفين بجوار البارات؛ وجدته يتمايل وبيده كأس مملوء بالخمر، فانزعجت ولم تصدق عينيها، وجرت عليه بكل اندفاع وأخذت الكأس عنوة من يده وألقته على الأرض وصرخت بوجهه حتى يسمع صوتها الذي يختفي بين نغمات الموسيقى الصاخبة والضحكات العالية التي اشمأزت منها.

الأم: لا أصدق ما أراه، ماذا تفعل بنفسك وماذا حدث لعقلك؟

هـل أصبـت بالجنـون لهـذه الدرجـة؟! تركـتَ كل شيء.. فقاطعهـا أحمـد وهـو يفقـد توازنـه كأنـه سيسـقط عـلى الأرض قائـلًا لهـا بصـوت متقطـع وغـير مفهـوم مـن شـدة سـكره..

أحبها.. أحب.. هاااااااا

هل تف.. هـ.. ميننني.. أحبهاااااااااا

الأم: ماذا تقول يا بُنَيَّ؟ من التي تحبها؟

كان يتكلـم وهـو ثمـل مـن تأثـير الخمـر عليـه ويقـول: رفضَـتْ حبـي رفضتنـي. هـي الوحيـدة بالعـالم كلـه التـي رفضتنـي.

الأم: اهـدأ يـا بنـي ودعنـا نذهـب للبيـت أولًا ثـم لتخـبرني مـن هـي التـي تحبهـا وتسـببت في وجعـك وتدميرك هكـذا.

أحمـد: نـدى.. هـي مـن أحبهـا.. ولكنهـا تكرهنـي بشـدة، لقـد أفسـدتُ كل شيء بغبـائي وتسرعـي.

فبكـت والدتـه وقالـت: لا أسـتطيع أن أراك منهـارًا وضعيفًـا هكـذا.. أنـت شـاب ناجـح وبـك كل المميـزات وأي فتـاة تتمنـى الارتبـاط بـك.

أحمـد: لا أريـد أي فتـاة، ولكـن واحـدة فقـط هـي التـي أريدهـا وأحبهـا وأرغـب بالارتبـاط بهـا، لكنـي خسرتهـا للأبـد وهـي تكرهنـي ولا تطيـق رؤيتـي مـرة أخـرى.

الأم: هـذه المـرة الأولى التـي أراك فيهـا متعلقًـا ومحِّبًـا لفتـاة هـذا الحـب ومنهـارًا لبُعدهـا عنـك، فإنـك تمتلـك كل شيء وكل الصفـات والإمكانيـات التـي تتمناهـا أي فتـاة غيرهـا، فأنـت فرصـة لأي بنـت. يـا بُنَـيَّ مـا تفعلـه الآن خطـأ كبـير في حـق نفسـك وكرامتـك فأنـت تدمـر

صحتك بأفعالك، وكل هذا لن يفيدك ولن يجعلها تحبك أو تنجذب إليك، ولكن أنا من يحتاج لوجودك بجواره، فأنا أكثر شخص يحبك في هذه الدنيا، ولن أتحمل أن تضيع مني وأنا واقفة ويداي مكتوفتان، أريد أن أساعدك لكن لا أعلم كيف.

أحمد: اذهبي واتركيني هنا وحدي، أريد أن أسهر وأشرب وأنساها فقط .

الأم: لا تقل ذلك فأنا لم أرك محبطًا ومهزومًا أبدًا، فأنت رجل ناجح وناضج ومسؤول عن تصرفاتك أمام الجميع وشخصية عامة ومعروف في هذا البلد الكبير، ولو كتبت عنك أي جريدة وعن وضعك الآن ونشرت لك صورة وأنت فاقد لوعيك في هذا المكان المشبوه سنخسر كل شيء وتتلوث سمعتنا وسنخسر كل ما بنيناه وحاربنا من أجله طوال السنوات الماضية. أرجوك يا ولدي أنصِت لكلامي فلا يوجد غيري يهمه مصلحتك ويراعي شؤونك إلا أنا.. هيَّا بنا، لنتركْ هذا المكان المشبوه ونَعُدْ لبيتنا، وسنتكلم عن كل شيء وسأفعل لك كل ما تريده وما يرضيك.

أحمد: جرحَتْني ودمرتني.. فأنا السبب.

وظل يهذي بالكلام هذا ويردد اسمها طوال الليل حتى استطاعت أن تأخذه للبيت ووضعته في سريره بمساعدة سائقها، واستغرق في نومه ولم يشعر بما حدث له في تلك الليلة.

وفي نهار يوم جديد، ذهبت ندى لشركتها لتقابل مديرها في مكتبه بكل جدية ولباقة دون الخوض في أي أمورٍ شخصية، وبدأت في الإجراءات القانونية لترك العمل وقابلت زملاءها جميعًا وأخبرتهم

أنها ستترك مكانها في العمل لأسباب شخصية وعائلية وتعود لمصر بشكل نهائي، فانزعج الجميع من سماع خبر استقالتها، فكانوا يحبونها ويقدرونها كثيراً فإنها إنسانة محترمة وتتسم بالأخلاق والصفات الطيبة ومحبوبة من الجميع، وقالوا لها أن الشركة ستخسر موظفة دؤوبة ومخلصة لعملها وذات خبرة مثلها، وتمنوا لها كل النجاح والتوفيق في أي عملٍ آخر.

وفي نفس الوقت ولكن في مكان آخر، اتصلت والدة أحمد بصديقه طارق وهو الصديق المقرَّب له وعِشرة عمره في لندن ويعتبره أخًا له، أخبرته أنها وجدت أحمد بالأمس وهو الآن بالبيت ولم تُرِدْ أن تتركه في هذه الحالة وتذهب للشركة، فطلبت منه أن يهتم هو بأمور العمل بصفته نائب أحمد.

طارق: بالطبع سأفعل ذلك ولا تشغلي بالك بأي شيء يتعلق بالعمل، ولكن أريد أن اخبرك بشيءٍ.

الأم: خيراً! ما هو؟

طارق: علمت من صديق أن ندى موجودة الآن في لندن وهي بالشركة التي تعمل بها اليوم.

الأم: لا أفهم ماذا تقصد.. فمن الطبيعي أن تكون بعملها أم هناك شيء لا أعلمه؟

طارق: كانت بمصر منذ عدة أشهر، وكان أحمد يبحث عنها فأخبرني صديقٌ لي يعمل معها بالشركة.

الأم: علمت الآن لماذا سافر أحمد لمصر، وليس كما قال لي أن سبب سفره لإنهاء بعض الأعمال هناك.

شكرًا لك يا بني على إخباري بذلك؛ فأنت يسرت عليّ الكثير ووفرت عليّ التفكير والاستنتاجات في هذا الأمر.

عذرًا يا بني لدي طلب بسيط فقط منك، بعد انتهاء العمل تأتي إلينا لتكون بجوار أحمد وتجلس معه وتواسيه وتهوّن عليه؛ لأنني سأقوم بمشوار مهم في المساء، ولا أريد أن أتركه وحده حتى لا يجن ويذهب ويختفي مرة أخرى، ولا تخبره بأن ندى موجودة بلندن، ولا تخبره أيضًا أنني عرفت أي شيء عن زيارته لمصر.

كان أحمد مستغرقًا في النوم جسده منهكًا من السهر واحتساءِ الخمرِ. وأتى طارق لزيارته فانصرفت والدة أحمد لتقابل ندى وانتظرتها أمام العمارة التي تسكن بها، وجاءت ندى ورأتها ووجدتها تقف هكذا فانقبض قلبها وسألتها:

ندى: مدام سوزان لماذا تقفين هنا، هل تنتظرينني؟

مدام سوزان: أعلم أنك مندهشة من وجودى هنا، أردت مقابلتك والتحدث معك.

ندى: تفضلي عندي بالبيت فلا يليق بسيدة أعمال كبيرة ومعروفة مثلك أن تقف بالطريق هكذا.

فصعدتا سويًّا للمنزل وجلستا لتتبادلا الحديث وقدمت لها كوبًا من القهوة الساخنة أولًا لتخفف عنها البرودة والصقيع التي كانت تقف فيه.

ندى: أهلًا بكِ في منزلي فإنها زيارة غير متوقعة.

مدام سوزان: لا أعلم عنك الكثير، قابلتك وتحدثت معك مرة واحدة فقط عندما جئتِ مع أحمد لمكتبي بالشركة وتحدثنا حينها حديثًا عامًا، ولا أحد يعطيني الحق الآن في التدخل بحياتك الشخصية.

نـدى: ولمـا هـذه المقدمـة؟ أرجـوكِ ادخـلي في الموضـوع وأخبريـني عـن سـبب زيارتـك ووجـودك هنـا.

مدام سوزان: جئت إليكِ بسبب ابني الوحيد، أحمد.

ندى: لا أفهم ماذا تقصدين، وما علاقتي بأستاذ أحمد؟

مـدام سـوزان: أرجـوك لا تقاطعـي حديثـي، اسـمعيني أولًا لتفهمـي كل شيء.

ندى: تفضلي؟

مـدام سـوزان: ابنـي مسـتقبله ينهـار وتتحطـم حياتـه ويتفتـت قلبـه وتضيـع صحتـه وشـبابه مـن أجلـك، فإنـه يمـر بحالـة نفسـية سـيئة، يفقـد الثقـة بنفسـه ويلومهـا عـلى بُعـدك والتخلي عنـه. لقد تـرك البيـت والعمل لفـترة طويلـة، وكنـت أبحـث عنـه طـوال الوقـت، ولم أكـن أعـرف لمـاذا يفعـل بنفسـه ذلـك، ووجدتـه الأمـس ورأيتـه بنفـسي وهـو يجلـس يحتسي الخمـر في أحـد الملاهـي الليليـة في حالـة مزريـة فاقـدًا وعيـه، ولكنـه يـردد اسـمك فقـط ويقـول إنـه السـبب في ضياعـك وخسـارتك للأبـد.

نـدى: ليـس لي أي ذنـب في ذلـك.. لمـاذا تلومينـني وتشـعرينني بأننـي السـبب ليفعـل هـذا بنفسـه؟

مـدام سـوزان: لا أعلـم مـاذا جـرى بينكـما، ولا أعـرف أي تفاصيـل عـن علاقتكـما، فهـو لم يخـبرني بأنـه يحبـك أو ارتبـط بـك.

نـدى: أي علاقـة وأي ارتبـاط ؟ لا يوجـد شيء بينـه وبينـي، وأنـا لا أحبـه، ولا أريـد أن أعرفـه أو أراه مـرة أخـرى، فإنـه إنسـان فضـولي وفـرضَ نفسـه عـلى حيـاتي وكانـت بيننـا صداقـة فقـط، ولكنهـا انتهـت؛ فهـو شـخص لا يسـتحق صداقتـي، تطفَّـل عـلى أسراري وتجسـس عـلى حيـاتي،

وأنا لم أسمح له بذلك مطلقًا، وفي النهاية جاء بكل وقاحة وجرأة ليقول لي إنه يحبني ويريد أن يرتبط بي.. أي حب هذا؟! ومن أعطاه الحق ليتجسس عليّ ويبحث عن حياتي السابقة وفرض نفسه عليّ دون أن يراعي مشاعري. أخبرته عندما قابلني آخر مرة برفضي له وأن ينساني ويبتعد عني.

مدام سوزان: أحمد ابني لا يستحق كل هذا الهجوم عليه؛ فإنه يحبك ولا يوجد خطأ أو جريمة في حبه لك، ولم يتجسس عليكِ يا ابنتي؛ فأي شاب في مكانه عندما يعشق ويقرر الارتباط بشكل رسمي وجدِّيٍّ بالفتاة التي ستصبح شريكة حياته وأمًا لأولاده يريد أن يعلم عنها كل شيء في الماضي والحاضر لتكون كل الأمور واضحة بالنسبة له.

ندى: من الطبيعي أن تمدحي وتفخمي في ابنك وتريه الملاك المعصوم من الخطأ، وأنه فرصة ذهبية لا تُعوَّض لأي فتاة، ولكني أرفضه وأرفض حبه ولا أطيق رؤيته أو سماع صوته، وحبه لي أعتبره جريمة شنعاء ارتكبها في حقي، وليس أحمد فقط الذي أرفضه ولكن أي شاب يريد أن يرتبط بي.. أكرههم جميعًا.

مدام سوزان: كلامي لك ليس معناه إجبارك على أن تحبيه رغمًا عنك، ولكن جئت اليوم لأفهم ما حدث بينكما ودفعه للانهيار والسقوط في الهاوية، كذلك فإنني أمٌّ ترى وحيدها يضيع بسبب هذا الحب الذي لا أمل فيه، أريد أن أنقذه وأخرجه من هذا الضياع.

ردت عليها بكل جفاء وقسوة: ستتحسن حالته ويفيق لنفسه عندما تبلغينه بأنني جئت للندن لأنهي كل شيء يتعلق بعملي وحياتي هنا، وسأعود لبلدي مرة أخرى وبشكل نهائي لا رجعة فيه، فلن يراني مُطلقًا، وهذا كافٍ لينساني ويخرجني من قلبه.

فصدمت والدته من قسوتها وكلامها الجاف الذي يفتقد للرحمة والذوق والإنسانية، وقالت لها: آسفة وأعتذر منكِ آنسة ندى عن زيارتي واقتحام حياتك وإزعاجك لهذه الدرجة، وآسفة لنفسي ولكرامتي التي قللت من قيمتها وعرضت نفسي لهذا الموقف وكل هذا الإحراج. وأعدك أن لن يضايقك ابني أو يتطفل عليك بأي شكل من الأشكال.

وذهبت والدة أحمد وهي مصدومة ونادمة أشد الندم على لقائهما، وتتساءل كيف لابنها الرقيق طيب القلب العطوف الحنون أن يحب ويتعلق بمثل هذه الفتاة جامدة وقاسية القلب عديمة المشاعر والأحاسيس.

وفي نفس الوقت كانت ندى راضية عن نفسها وممتنة وتشعر أنها أخذت حقها من أحمد وانتقمت منه. وجلست تقنع نفسها أنها لم تخطئ في أي شيء قالته؛ فإنها هي التي جُرحَت من أحمد، وأمه فقط تريد مصلحته حتى لو على حساب مشاعرها.

ندى: تريد مساعدته وتضميد جراح قلبه، وأنا من يهمه مشاعري ومن يداوي قلبي؟ تعجبني نفسي هكذا، قلبي يملؤه الجمود والكراهية والنفور من أي شخص يحبني، فأنا متبلدة المشاعر، لا أبالي بوجع ومعاناة المحبين، فهو من قام بإيذاء مشاعري وهو من تسبب في ذلك، فماذا أفعل له؟ هو من وضع والدته في هذا الموقف المحرج؟ لم أعده بشيءٍ وكنت واضحة وصريحة معه منذ البداية. إنه مجرد صديق، ولكنه تعدى حدود صداقتنا، كنت أحترمه وأقدّره ووقفت بجانبه وساندته في مرضه حتى تعافى، ولكنه رد لي ذلك بكل غدر

وخيانة وأنا اكره الخيانة والغش. كفاني ما مررت به وتذوقته طيلة حياتي، خداع وكذب وعذاب، والآن.. خيانة وتلصص على حياتي، فلن أبالي بأي شخص.. نفسي ثم نفسي.

جاءت سارة من عملها ولم تخبرها ندى بزيارة والدة أحمد.

سارة: لم تغيري رأيك أيتها الراحلة، فيوجد الكثيرين في هذا البلد يتمنون بقاءك ولا يقدرون على فراقك.

ندى: أعلم يا صديقتي، ولكن أبي وأمي أيضًا لا يقدرون العيش بدوني أكثر منكم.

سارة: وصلتني اليوم اخبارٌ سيئة عن أحمد الحسيني، وأردتُ إعلامك بها.

ندى: ستقولين إنه بحالة سيئة وترك عمله وبيته ليجلس في البارات والملاهي الليلية.

سارة: نعم من الذي أخبرك؟

ندى: جاءت والدته إلى هنا لتخبرني بذلك وتلومني وتتهمني أنني السبب.

سارة: تتهمك أنت؟ وما دخلك به، أما كنت مسافرة وبعيدة عنه؟

ندى: هذا موضوع يطول شرحه وسأخبرك به، ولكن بعد أن ترتاحي وتبدلي ملابسك وناكل أي شيء، فأنا سأموت جوعًا.

وعند تناولهما الطعام أخبرتها ندى بكل شيء وما حدث أثناء لقائها بأحمد في مصر وزيارته لها ولأسرتها أولًا بالبيت. فلامتها سارة

على قسوتها ومعاملتها الجافة لأحمد وكيف تقسو أيضًا على والدته وتؤنبها على خوفها عليه، وكانت متحيرة كيف لندى أن ترفض حب شاب مثل أحمد، فندى لم تخبرها كل الحقيقة، ولم تحكِ لها أن أحمد كان يعرف شيئًا عن ماضيها وأنه واجهها به وأنه يعلم كل شيء عن خطبتها السابقة لأنها بالطبع لا تريد أن تعلم سارة بذلك وتخوض في أي تفاصيل تخص الماضي، واكتفت بإخبارها أنه يحبها وهي ترفض هذا الحب وقابلته بكل قسوة وحدة.

ندى: لا أريد الارتباط بأي شخص الآن، وهو يجب أن يحترم رغبتي هذه ويراعي مشاعري ولا يفرض نفسه على حياتي، فقلبي ملكي وحدي وغير مستعدة أن أتشاركه مع أي أحد.

سارة: منذ أول يوم تقابلنا فيه وأنا أجدك الفتاة اللطيفة الرقيقة الحنون الحساسة، لم أتوقع منك أن تصديه وتقسي عليه، فقد كان من أعز أصدقائك، وكنت تهتمين به وقلقتِ عليه كثيرًا بعد الحادثة وذهبتِ لزيارته أكثر من مرة، وكنتما قريبين من بعضكما، ماذا جرى لكِ، لما تنفرين منه هكذا؟ يوجد شيء لا أفهمه، فأنت ماهرة في التحدث مع كل الأشخاص وتمتلكين مفاتيح الحوار ولبقة ورقيقة مع الجميع حتى الغرباء؛ فلماذا فقدتِ كل صفاتك هذه مع أحمد ومع والدته حتى لو كنت ترفضين حبه؟ من الممكن أن تعبري له عن رفضك بطريقة ألطف من ذلك.

ندى: هذه الطريقة المثلى والمناسبة لكي لا يتمادى في حبه؛ فلا يوجد فائدة من حبه ومشاعره هذه ولن يعود عليه إلا بالألم فقط.

سارة: بكل تأكيد أنتِ حرة في مشاعرك، تحبين أو ترفضين من

تشائين، ولكن أحمد شخص ناضج ومحترم وأخلاقه عالية، لم نرَ منه أي شيء يستحق عليه أن نعامله بجفاء أو قسوةٍ.

ندى: كنت أحترمه ووقفت بجانبه في مرضه، ولكن بدافع من الصداقة والإنسانية وليس لأني واقعة في حبه أو عاشقة له.

سارة: والآن هو في أزمة، نعم.. ليست صحية، ولكنه يمر بأزمة نفسية وقلبه هو المصاب بالوجع والحزن عليكِ، ويحتاج لمساعدتك، فأنت الوحيدة في هذا العالم التي تقدر على علاجه والوقوف بجانبه ليخرج من محنته.

ندى: هل تريدين مني أن أذهب إليه وأمثّل دور العاشقة المتيمة بحبه وأرتمي بين ذراعيه وأقول له آسفة يا أحمد أنا أخطأت في حقك.. والآن أعترف لك بحبي وشوقي لك هيّا نتزوج.

سارة: لا تسخري من كلامي لهذه الدرجة، فبالطبع لن أطلب منك أن تتنازلي عن كرامتك من أجله، فأعلم أنك لا تحبينه ولن تقولي شيئًا لم تشعري به.

ندى: أحمد رجل ناضج وليس مراهقًا مندفع المشاعر يلقي بنفسه في التهلكة أو ينتحر مثلًا وينهي حياته إذا ضاعت منه حبيبته، فأنا عرفت أشخاصًا مثله تعرضوا لصدمات عاطفية وانخدعوا وصُدموا في أحبابهم بعد أن عشقوهم بكل صدق ووفاء وفي النهاية كان جزاءُ هذا الحب الطاهرِ الغدر والخيانة والعمر ضاع بجوارهم هباءً، ولكن تغلبوا على أوجاعهم وتخطوا محنتهم هذه وعاشوا بكل ثقة وقوة ولم يخسروا حياتهم أو عملهم، وهو بالتأكيد سيجتاز محنته قريبًا وينساني عندما أبتعد عنه.

سارة: مهما قلت لكِ يا صديقتي لن يتغير رأيك، فرأسك كالجبل الصامد الذي لا يتأثر بأي عاصفة تمر عليه، وكنت أتمنى لأحمد أن تفعلي أي شيء من أجله لتخففي عنه وتهوّني عليه.

ندى: لا يوجد وقت لدي لأفعل أي شيء لأي شخصٍ، فأنا سأسافر مساءَ غدٍ.

سارة: بهذه السرعة؟

ندى: سأمرّ على الشركة صباحًا معكِ لآخذ بقية أوراقي، ولا يوجد شيءٌ آخر لأبقى من أجله.

سارة: أنت أكثر شخصية عنيدة قابلتها في حياتي، ولكني أحبك وأتمنى لك كل خير، فسأعتبر هذا العشاء ليس العشاء الأخير بيننا. وفي صباح يومٍ جديدٍ ذهبتا سويًّا للشركة وأخذت ندى كل أوراقها ومتعلقاتها وقامت بتوديع زملائها جميعًا وعانقتها سارة عناقًا حارًا مصحوبًا بدموع الفراق الذي سيلحق به الإحساس بالوحدة والملل مرة أخرى.

وعادت ندى إلى البيت لتأخذ حقائبها وتذهب للمطار قبل موعد إقلاع الطائرة بثلاثِ ساعات، فلا تطيق الانتظار والجلوس بمفردها في البيت، تريد أن تطير بنفسها في السماء لكي تضمن وصولها لمصر، واستقلت سيارة أجرة وكانت في طريقها للمطار تنظر من خلف النافذة وهي سعيدة ومبتهجة؛ فوجدت نفسها تطلب من السائق أن يوقف السيارة، فقال لها: ولكن يا آنستي المطار ليس بهذا الشارع.

ندى: أعلم بذلك جيدًا، ولكني يجب أن أنزل في هذا المكان لأقوم بزيارة شخص ما أولًا.

انتظرني قليلًا لن أتأخر عليك.

توقفت السيارة أمام بوابة كبيرة لقصر أكبر تحيط به الأشجار العالية كأسوار فولاذية تعزل من يعيش به عن العالم الخارجي، ودخلت من بوابة هذا الصرح وكان الحراس المنتشرون في أنحاء الحديقة الأمامية للقصر يتجولون بالكلاب الشرسة ليؤمّنوا من يقيم بداخل القصر ويمنعوا عنه أي خطر أو أذى، فقالت لهم: أنا ندى وأريد أن أقابل أستاذ أحمد الحسيني.

الحارس: انتظري قليلًا سأخبره بذلك.

فقالت ندى لنفسها عندما تركها الحارس وذهب: ماذا تفعلين هنا يا ندى؟ هل من المعقول أن آتي إليه بكل سهولة وبرغبتي هكذا وأنا سأسافر بعد قليل؟! ولكن وجدت والدته تقف أمامها وهي تنظر لها بكل اشمئزاز، فأُحرجت ندى منها وظلَّت صامتةً تنظر إليها بكل خجل.

مدام سوزان: أهلًا بكِ يا آنسة ندى، أي ريح أتت بك إلينا؟!

ندى: أعلم مدى انزعاجك مني عندما تقابلنا، ولكني أعتذر منك على قلة ذوقي وقسوة حديثي وأتيت الآن لأطمئن على أحمد وأودعه قبل سفري.

مدام سوزان: أتعبتِ نفسك بهذه الزيارة فليس لها أي داعٍ الآن، فأنا أخبرته بكل شيء قلتِه لي، ولكن أهلًا بكِ في أي وقت، فنحن نعرف الذوق ونكرم ضيوفنا.

وذهبت لتخبره بوجود ندى، وكان وقتها يجلس في غرفته حزينًا ومهمومًا، وعندما سمع بوجودها نهض سريعًا واستعاد شخصيته

الثابتة الرزينة، وتغيرت ملامح وجهة وزال الحزن من عينيه واستبدلها بنظرات واثقة وهادئة، ونزل إلى قاعة استقبال الضيوف بالقصر واقترب من ندى، وقال لها بنبرة صوت قوية وحادة: ما سبب وجودك أمامي الآن وما أتى بكِ إلى هنا؟ رسالتك وصلتني بالأمس، وأمي قالت لي كل ما طلبتِهِ منها.

ندى: جئت لأراك وأطمئن على حالك وأودّعك للمرة الاخيرة، وأريد أن أقول لك أن هذه الدنيا لن تتوقف عند شخص واحد سواء كان بجوارك وبقربك أو بعيدًا عنك وخرج من حياتك، فأتمنى أن تعود لعملك وتهتم بصحتك وأن تنسى أي شخص كان سببًا في إيذاء مشاعرك، فابتسم لها أحمد ابتسامة ساخرة وقال لها: ما هذا الكلام المنمق؟! فأنا لم أعتدْ أن أسمع منك هذا الكلام الرقيق، فأنا أسمعه فقط من أبطال الأفلام السينمائية، فهل تعتقدين أني أفكر بكِ أو يفرق معي وجودك، فأنا فهمت كلامك جيدًا في لقائنا السابق وعملت به وانتزعتك من قلبي واعتذرت له أنني شعرت تجاهك بأي شيء يومًا من الأيام؛ فأنتِ لا تستحقين أي مشاعر صادقة أو أي حب، فأنتِ إنسانة متبلدة المشاعر قلبك متحجر لا يستطيع الشعور بأي أحد، يملؤه الحقدُ والكراهيةُ فقط، فأنت إنسانة غير سوية تعانين من عقدة نفسية وتتلذذين بالانتقام من أي شخص يتقرب إليكِ، فأنا أنصحك بالذهاب إلى طبيبٍ نفسيٍّ يعالجك من تلك العقد التي بداخلك.

والآن اخرجي من بيتي لا أريد أن أراكِ ثانيةً.

فقاطعت حديثه ندى وقالت له: لا داعي للإهانة أكثر من ذلك، فأنا سأرحل من عالمك إلى الأبد ولن تراني ثانية.

وخرجت مسرعة من المنزل وهي تجري وتهرول تأخذ أنفاسًا وتحبسها بداخلها حتى لا يشعر أحد بإحراجها هذا أو أن يظهر أي شيء على وجهها، وكان قلبها يتألم كثيراً كقلب رشقت بداخله سيوفٌ وسهامٌ حادةٌ مَزَّقَتْهُ إلى قطع متناثرة حولها. ودخلت سيارة الأجرة مسرعة وكانت تطاردها الأمطار الغزيرة، وطلبت من السائق بصوت مخنوق أن يذهب إلى المطار حالًا، وكان بداخلها بركان يتدفق من فوهة صغيرة ضيقة يستعد للانفجار في أي وقت. وكانت والدة أحمد سمعت كل شيء قاله أحمد. وسألته: لماذا قلت هذا الكلام الجارح للإنسانة التي تحبها وكنت تتعذب من فراقها وبُعدها عنك، والآن عندما أتت لتطمئن عليك تعاملها بكل هذه القسوة؟

أحمد: لا تقلقي عليها فإنها عديمة الإحساس وبالتأكيد كلامي وقسوتي هذه لن تؤثر فيها بشيء.

وجاءت فقط لزيارتي لتعلمني مرة أخرى أنه لا فائدة من حبي لها، فأنا يا أمي لست بموضع شفقة أو عطف منها ولا أحتاج لزيارتها أو حتى رؤيتها مرة أخرى.

ندى هبطت الطائرة بها وألقت بنفسها بين أحضان والديها وفرحت كثيراً عندما وجدتهما في استقبالها بصالة الوصول في المطار، ووجدت والدها معافىً يمشي ويتحرك بكل صحة دون مساعدة أحد أو التوكؤ على عكازين. وشعرت والدتها بتغيُّر في ملامح وجهها وسألتها: ما بك يا ابنتي؟ هل يزعجك شيء؟ طمئنيني عليك.

ندى: أنا مجهدة فقط من السفر- وأريد أن أرتاح وأنام قليلًا عندما نصل البيت.

في نفس الوقت هذا، جلس أحمد ليريح بال والدته ويعدها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنه سيتابع العمل ابتداءً من الغد وسيعوّض أي خسارة حدثت بسبب غيابه كل هذه الفترة، وأنه سيعمل على أن يظل اسم الشركة وسمعتها يعلوان في السماء؛ فشجعته والدته وفرحت كثيرًا من حماسه؛ فهذا الأفضل له ولمستقبله وليس العزلة والوحدة والتفكير في أي شيء يحزنهما ويتسبب لهما في الألم.

وبعد مرور شهرٍ على هذه الأحداث الطويلة؛ عاد أحمد لعمله بكل قوة وتحدٍ، ولكن ندى كانت لا تجد شيئًا تفعله، فوالدها تحسَّن كثيرًا وعاد هو أيضًا إلى عمله، وكانت تجلس معظم الوقت تشاهد التليفزيون مع والدتها أو تجلس وحدها في غرفتها، وكانت تشعر بالملل والضيقِ كثيرًا، ولاحظت والدتها ذلك عليها، واقترحت أن تعود لعملها السابق في الصحافة وتعمل بنفس الجريدة التي كانت تعمل بها قبل سفرها، ولكن ندى رفضت وبررت هذا الرفض لوالدتها بأنها لا تريد أن تذهب لأي مكان يذكّرها بأي شيء حدث لها في الماضي، ولا تريد أن ترى أي زميل أو زميلة كانوا يعملون معها، فإنها لن تقدر على إجابة أي سؤالٍ من أسئلتهم التي ستحاصرها بمجرد رؤيتهم لها.

والدتها: إذًا اعملي في أي جريدة أخرى لا تعلمين أي شخص فيها.

ندى: لا أعرف يا أمي، فأنا في حيرة من أمري، فهل أعود ثانية للصحافة في جريدة أخرى أم أعمل في مجال مختلف أم أجلس في البيت هكذا دون فائدة؟

والدتها: الاختيار الأمثل لك يا ابنتي هو العمل في جريدة أخرى، وإذا لم يعجبك العمل بها أو قابلتك أي مشكلة اتركيها فلكِ حرية التصرف.

نـدى: سـأفعل ذلـك، فهنـاك جريـدةٌ جديـدةٌ أقرأهـا أحيانًـا موضوعاتها شـيقةٌ، فمـن الممكـن أن أذهـب وأقابـل رئيـس تحريـر هـذه الصحيفـة وأرى مـاذا سـيحدث بعدهـا.

والدتهـا: وفقـك اللـه يـا ابنتـي، فهـذه مهنتـك التـي حققـتِ فيهـا نجاحًـا كبـيرًا، وسيسـتمر هـذا النجـاح طـوال حياتـك إن شـاء اللـه.

فتحمسـت نـدى وذهبـت في اليـوم التـالي إلى هـذه الصحيفـة وقابلـت رئيـس التحريـر أسـتاذ عامـر، فرحَّـب بهـا كثـيرًا في مكتبـه، وخاصـةً عندمـا عـرف أنهـا كانـت تعمـل بجريـدة الأهـرام منـذ تخرجهـا واكتسـبت خـبرات كثـيرة مـن عملهـا السـابق، كـما علـم أيضًـا بعملهـا في لنـدن عندمـا سـألها عـن سـبب تركهـا لجريـدة الأهـرام، وتعجـب كثـيرًا مـن ذلـك، ولكـن قالـت لـه: اعتـبر حيـاتي هـذه كالقطـار الـذي يسـتقله الإنسـان ليصـل إلى المـكان الـذي يقصـده ويتمنـاه، ولكـن يجـب عليـه أن يمـر بمحطـات كثـيرة وفي أماكـن مختلفـة حتـى يصـل القطـار أخـيرًا إلى المحطـة التـي يريدهـا، وهـذه هـي حيـاتي ليـس أكـثر.

أسـتاذ عامـر: أحييـكِ عـلى رؤيتـك العميقـة لحياتـك، ولكـن أريـد أن أسـتغل مـرورك بالمحطـة السـابقة ونزولـك فيهـا.

ندي: لم أفهم ماذا تقصد؟

عامـر: أقصـد بكلامـي هـذا وجـودك بلنـدن، فأنـت قضيـتِ هنـاك الكثـير مـن الوقـت.

ندي: نعم حوالي عامين.

عامـر: بالطبـع خـلال هذيـن العامـين تعرفـتِ عـلى ثقافـات مختلفـة وسـلوكيات وأفعـال متحـضرة يفعلهـا أفـراد المجتمـع الإنجليـزي وكيـف يعاملـون المـرأة الإنجليزيـة أيضًـا، ومـا هـي الحقـوق التـي تعطـى لهـا

هناك وتفرقها عن المرأة الشرقية، وما هي نظرة الرجل لها وهكذا.

ندى: علمت الكثير بالطبع وتعرفت على عاداتهم وتقاليدهم، ولكن ما دخل كل ذلك بعملي هنا؟

عامر: ستكونين مسؤلة عن صفحة المرأة، وبهذا سيكون أي موضوع يكتبه أي صحفي في هذه الصفحة عن المرأة تحت إشرافك، وأتمنى أن تكتبي مقالات أيضًا توضحين بها الفرق بين المرأة الشرقية والغربية، وما هي الحقوق التي تنقص المرأة الشرقية ويجب أن تحصل عليها وتطالب بها، وبذلك ستكونين قد ساهمتِ في إعطاء القراء معلومات هامة وشيقة في نفس الوقت بطريقة موضوعية وليس مجرد كلام وشعارات فقط.

ندى: يسعدني أن أعمل في صفحة المرأة، فمثل هذه الموضوعات لم أتطرق إليها من قبل، فكل الموضوعات التي قمت بكتابتها كانت سياسية وليست اجتماعية.

وقام بتعريفها على كل زملائها وخاصة من سيعملون معها في صفحة المرأة، ورحبوا بها كثيراً، وعندما رأتهم وتحدثت معهم شعرت براحة نفسية وألفة كأنها تعاملت معهم من قبل، وعادت إلى بيتها وأخبرت والديها بكل ما حدث، وفرحا كثيراً عندما وجدوها سعيدة ومتحمسة للعمل هكذا.

وبدأت العمل بكل جهد وإخلاص، وبالفعل قامت بكتابة موضوعات ومقالات كثيرة عن حقوق المرأة وما تفتقده في المجتمع الذي تعيش به. وكانت موضوعاتها متميزة جدًّا وكانت تحظى بإعجاب كل من يقرأ لها، واستمرت على هذا الحال حوالي ثلاثة أشهر.

وفي يـوم وهـي جالسـة في الجريـدة تقـوم بكتابـة بعـض المقـالات اتصلـت بهـا صديقتهـا سـارة فـردّت عليهـا بـكل شـوق وقالـت لهـا: أفتقـدك كثيـراً يـا صديقتـي العزيـزة، مـاذا تفعلـين الآن في حياتـك؟ تجلسـين فقـط بالبيـت كالعـادة أيتهـا الكسـولة.

نـدى: دائمًـا تظلمينـني. أنـا أعمـل الآن رئيسـة قسـم المـرأة بصحيفـة المواجهـة، مـا رأيـك الآن هـل أنـا كسـولة أم أقـوم بعمـل مفيـد وهـادف؟

سـارة: لا أصـدق.. هـل عـدتِ مـرة أخـرى للصحافـة والكتابـة؟! هـذا شيء رائـع.

ندى: طمئنيني عليكِ وعلى حالك بدوني.

سـارة: أنـا بخـير ولا يوجـد شيء جديـد في حيـاتي، ولكـن أريـد إخبـارك بـشيء متعلـق بـك.

ندي: خيراً ما هو الشيء الذي يتعلق بي؟

سـارة: أعلـم أنـه سـيزعجك ذلـك، ولكـن أردت أن أخـبرك بـه حتـى لا تلومينـي عـلى أي شيء يحـدث يومًـا مـا.

ندي: لقد أثرتِ فضولي وقلقي فأخبريني ما الأمر؟

سـارة: أحمـد تحـدث إليّ صباحًـا وقـال لي أنـه يريـد رقـم هاتفـك الجديـد لأنـه يتصـل بـك عـلى رقمـك القديـم وعلـم بعـد ذلـك أنـك قمـتِ بتغيـيره.

ندى: وأنت ماذا فعلتِ؟ هل أعطيتِه رقمي كالعادة؟

سارة: بالطبع لا. فأنا أتعلّم من أخطائي..لا تقلقي.

نـدي: مـاذا يريـد منـي. أتعجـب لأمـره فآخـر مـرة قابلتـه فيهـا قبـل سـفري وعـودتي إلى مـصر وبخنـي بـكلام قـاسٍ واتهمنـي بـأني إنسـانة متبلـدة المشـاعر وأملـك قلبًـا متحجـرًا صلبًـا؛ فلـماذا يسـأل عنـي الآن؟

سارة: من الواضح يا صديقتي أنه ما زال يحبك ويعشقك ولم يستطع نسيانك، فهذا كان واضحًا من صوته وطريقة كلامه ولهفته عليك.

ندى: شخص مجنون يضيع عمره هباء ويجري وراء السراب والأوهام.

سارة: لا تظلميه وتكوني قاسية عليه، فإنه إنسان يحبك وليس آلةً حديدية.

ندي: إذا اتصل بكِ مرة أخرى لا تعطِهِ رقمي أبدًا ولا تجعليه يخدعك بكلامه لكي تتعاطفي معه وتعطيه رقمي هذا.

سارة: لاتقلقي، والآن سأنهي المكالمة لكي تكملي ما تقومين به.

وبعد إنهاء المكالمة أمسكت ندى بالقلم لتكمل ما تكتب،ه ولكن وجدت أصابعها تكتب: أحمد، أحمد، أحمد متى سيختفي هذا الشخص من حياتي؟ ماذا أفعل؟ فالحاضر يصبح ماضي يطاردني. أين أذهب وأبتعد عن كل هذا؟! فكل شيء أكرهه يظل يلاحقني.. تعبت كثيرًا.

فعادت بيتها وبها رغبة أن تتخلص من أي شيء يزعجها أو يقلل من حماسها لعملها الجديد، فوجدت والديها في استقبالها ويحملان كعكة كبيرة تملؤها الشموع المشتعلة وقالا لها: كل عام وأنت طيبة وبخير عيد ميلاد سعيد.

ندى: لم أتذكر أن اليوم هو عيد ميلادي.

والدتها: نحن لا نقدر أن ننسى هذا اليوم فإنه أسعد وأهم يوم في حياتنا كلها، وسنظل نحتفل به لآخر لحظة في عمرنا.

والدها: كل عام وأنت سعيدة وبخير يا قطتي الصغيرة.

كانت ندى تغمرها السعادة حينها وقالت لهما: أتمنى من الله ألّا يحرمني أبدًا من هذا الحب والاهتمام. ليس لي أحد في هذه الدنيا يحبني ويخاف عليّ إلا أنتما يا أغلى الأحباب.

فجلسوا معًا يحتسون الشاي ويأكلون من كعكة عيد الميلاد ويضحكون ويتبادلون الحديث بكل سعادة وحب وطمأنينة. ودق جرس الباب وفتحت ندى وأخبرها حارس العمارة أنه جاء إليه منذ قليل شاب أعطاه هذا الخطاب ومعه باقة كبيرة من الورود وصندوق هدايا صغير لونه أحمر مربوط بشريط ذهبي اللون ليعطيهم للآنسة ندى.

ندى: هل أخبرك عن اسمه أو ترك أي كارت شخصي.

حارس العمارة: لا، لم يترك أي كارت، أعطاني فقط هذه الأشياء وانصرف سريعًا، ولكنه رجل محترم ويبدو أنه ذو مكانة هامة ويرتدي ملابس غالية.

ندى: نعم نعم.. يرتدي ملابس غالية!

فشكرته وأغلقت الباب ووضعت باقة الورود جانبًا ثم فتحت الصندوق الأحمر وجدت فيه زجاجة من العطر الفرنسي لماركة شهيرة باهظة الثمن جدًا جدًا.

ثم بدأت في قراءة الخطاب الغامض: عيد ميلاد سعيد يا حبيبتي، أتمنى لكِ كل الخير والسعادة والنجاح في حياتك، أتمنى أن لا تضيع سنة أخرى قادمة من حياتك وأنا لست بجانبك. أتمنى أن تسامحيني وتقبلي اعتذاري عن كل ما بدرَ مني. كان كلامي يفتقد للذوق والأدب وقسوت عليكِ.

أتمنى أن تبدئي عامًا جديدًا وكل ما تحملينه في قلبك لي سواءغضب وكراهية أو عدم احترام، أتمنى أن تلقيه في بئر الماضي العميق وتمحيه من ذاكرتك للأبد. أتمنى أن تعطيني الفرصة لأثبت لكي أنني أستحق حبك. أتمنى أن أكون حبيبك وتكوني حبيبتي وشريكة عمري. أتمنى أن تفتحي لي قلبك وتشعري بحبي الصادق لكِ. أتمنى أن تكوني زوجتي وأمًا لأولادي

أحبك يا حبيبة قلبي..

أحمد الحسيني

لم تصدق ندى ما قرأته وقالت لنفسها: أعلم صباحًا أنه يسأل عن رقم هاتفي وليلًا يرسل لي هذه الهدايا. هل معنى ذلك أنه أتى ثانية لمصر أم أنه كلَّف أحدًا ليقوم بذلك؟ عقلي يتوقف عن التفكير والتفسير.

ووجدتها والدتها ممسكة بالورود؛ فسألتها من كان على الباب ومن أحضر هذه الباقة وهذه الهدية، فشعرت ندى بالإحراج كثيرًا وقالت: لا أعلم فالحارس أعطاني إياها وهو أيضًا لا يعرف من صاحبها.

ولم تخبرها عن الخطاب الذي قرأته منذ قليل، لأنها تشعر بالخجل من والدتها، فأخفته وراء ظهرها. ثم دخلت غرفتها وجلست تنظر للخطاب تتابع سطوره بعينيها وقرأته عدة مرات وهي مشتتة الذهن لا تعرف ماذا تفعل به؛ فوجوده بغرفتها عبء عليها لا تريد حمله. كيف تتخلص منه؟ هل تخبئه بصندوق ذكرياتها بين صورها ومذكراتها التي لا يراها أحد غيرها أم تقطعه إلى قطع صغيرة حتى

تتفرق الحروف عن بعضها وتتوه وتضيع الكلمات من أمام عينيها؟ ولكن كيف تتخلص من صوت أحمد الذي يرن في أذنيها كأنه يقول لها المكتوب بالخطاب بنفسه فثبتت كلماته في وجدانها قبل عقلها؟

وضعته في صندوق الذكريات، وأغلقت الأنوار، ووضعت وسادتها فوق رأسها حتى تكتم صوته في أذنيها. وذهبت لعملها صباحًا مثل كل يوم، ولكن بداخلها مشاعر متناقضة فليست معتادة على إخفاء شيء عن والديها وخاصة والدتها، وفي الوقت نفسه ترفض تقرب أحمد إليها مرة أخرى؛ فهي الآن مثل التلميذة التي تخفي درجاتها الضعيفة عن أمها حتى لا تعاقبها وتغضب عليها أو أنها فتاة مراهقة ترتبط بشاب سرًا وتخفي خطاباته حتى لا يفتضح أمرها أمام والدها وتفقد ثقته بها.

ولكن أنقذها رئيس التحرير من حيرتها وقطع تفكيرها باتصاله بها في مكتبها ليكلفها بعمل اليوم وكتابة مقالها بأقصى سرعة ليقوم بمراجعته قبل النشر، فلا وقت لندى للتفكير بأي أمورٍ شخصية.

فاتصلت بها سارة لتخبرها بأن أحمد موجود بمصر الآن.

سارة: علمت بوجوده من طارق صديقي فسيبحث عنكِ ويصل إليكِ في أقرب وقت.

ندى: لن يحتاج للبحث عنّي فهو يعرف عنوان منزلي، وبالفعل أرسل لي خطابًا وزهورًا وهدية عيد ميلادي.

سارة: اعذريني يا صديقتي؛ فلهفتي على إخبارك بهذه المعلومات أنستني أن أقول لكِ كل عام وأنت وبخير بمناسبة عيد ميلادك.

ندى: وأنتِ طيبة وبخير، وشكرًا لمحاولتك إعلامي بمجيئه.

سارة: أريد مساعدتك بأي شيء، وتخفيف أي ضغوط عليكِ.

وانتهت المكالمة وجلست ندى لتكمل عملها؛ فالوقت يمر بها وهي لم تنهِ ما طلبه منها رئيس التحرير حتى الآن؛ فقد فقدت تركيزها وتاهت منها الكلمات والعبارات وابتعدت عن ذهنها فلا تقدر على كتابة سطرٍ كاملٍ. فذهبت لمكتب رئيس التحرير لتعتذر منه عن عدم كتابتها الموضوعات المطلوبة منها، وكتبت فقط مقالًا واحدًا؛ لأنها تشعر بالتعب والإرهاق الشديد، وتحتاج للراحة لكي تستجمع أفكارها وبعدها ستكتب بكل سلاسة وتركيز. فسمح لها بالانصراف والعودة لبيتها لترتاح، فشكرته كثيرًا ونزلت من الجريدة ووقفت بجوار سيارتها تبحث عن المفاتيح بداخل حقيبتها فوجدت يدًا تمسك بيدها وتخرجها من الحقيبة وصوتًا يقول لها: اتركي المفاتيح فلن تذهبي إلى أي مكان الآن قبل أن نتحدث سويًّا.

فنظرت لوجه من يحدثها وقالت: اترك يدي يا أحمد، ماذا بك؟

أحمد: أريد أن أتحدث معك..

ندى: قرأت خطابك جيدًا، وأعلم ما تريده مني، وأنت أيضًا تعرف ردي على كلامك مثل كل مرة فلا جديد.

أحمد: لا يا ندى يوجد الجديد فأريد أن أعتذر لكِ عن سخافتي وقلة ذوقي معكِ.

ندى: حسنًا وأنا قبلت اعتذارك وكان بسبب خطئي عندما جئت إليك.

أحمد: لا ياندى لا تلومي نفسك على ذوقك، فلم أشعر بنفسي عندما جرحت مشاعرك

فأنا من أخطأ وسأتحمل نتيجة خطئي هذا. اطلبي مني أي شيء أُكَفِّرُ به عن سوء أدبي معكِ يومها.

ندى: أطلب منك أن تسافر للندن وتنساني، فبقاؤك هنا لن يفيدك بشيءٍ.

أحمد: أنت مخطئة، فأكثر شيء يسعدني هو رؤيتك أمامي والتحدث معكِ حتى لو رفضتِ ذلك. دعينا نذهب لأي مكانٍ عام نجلس فيه ونتحدث سويًّا.

ندى: نتحدث في ماذا؟ أنت تعرض على حبك وتريد الارتباط بي كما فهمت من خطابك

أحمد: نعم فهذا حلم حياتي..

ندى: ولكن بالنسبة لي كابوس حياتي الارتباط بك أو بغيرك، وأقولها لك بكل صراحة ووضوح.. لا أحبك ولا أريد أن أتزوجك هل فهمت كلامي ؟

أحمد: لا أريد أن أفهمه ولا أن أسمعه، فإنك تحبينني، ولكن عقلك يرفض هذا الحب فيخيل لقلبك ويقنعه بأنك تكرهينني فيبعث له إشارات بالرفض والنفور من أي رجل يتقرب إليكِ. لا تسمعي لصوت عقلك الكاره والمتشائم واشعري بنبضات قلبك الرقيق الذي قيَّدَتْهُ دقاتُهُ بسلاسل الخوف من الغدر والخيانة.

ندى بكل ضعف: أرجوك اتركني الآن وابتعد عني فأنا إنسانة لا تصلح لأي ارتباط ولا حب.. أنا إنسانة محطمة لا أملك أي مشاعر ولا أحاسيس أعطيها لأي حبيب أو زوج. أريد أن أعيش بمفردي مع أبي وأمي، فهما من أثق بهما ويحباننني دون أي مقابل أو شروط.

أحمد: لماذا أنت يائسة هكذا؟ أنتِ تستحقين حب أي شخص يتعرف عليكِ ويخلص لكِ طوال العمر ويقوم بإرضائك وإسعادك؛ فبداخلك قلبٌ حنونٌ وطاهرٌ كقلب الأطفال يجب الحفاظ عليه وعدم المساس به بأي سوءٍ أو ألم. أعطني فرصة لكي أنسيكِ كل ألم وعذاب مرَّ عليكِ؛ فأنا أعشقك بكل جنون، ولا أعلم ماذا حدث لي، حاولت أن أنساكِ ولم أستطع. حاولت أن أشغل نفسي في العمل وأمنع قلبي عن حبك ولكني فشلت. أراك أمامي في كل مكان أذهب إليه وفي كل ورقة أنظر إليها. أسمع صوتك يتردد في أذني عندما أضع الهاتف عليها.

ماذا أفعل ياندى؟ لم أقدر على مقاومة حبي لك ونسيانك، فالموت هو سبيلي الوحيد لأبتعد عنك ويتوقف قلبي وتنتهي حياتي. حبك يا ندى يقيد قلبي ويحاصرني وأنا مستمتع بهذا الحصار وهذه الأغلال التي تسلسل وجداني بأحاسيس العشق والشوق.

قلبي كان مجروحًا ويتمزق من قسوتك وجفائكِ عليه، ولكنه يحبك ويشتاق لك؛ فبمجرد رؤيتك وسماع صوتك ينتعش قلبي ويحيا من جديد.

وأخذ يدها ووضعها على صدره وطلب منها أن تشعر بدقات قلبه المتسارعة من كثرة حبه واشتياقه لها.

أحمد: لن يهدأ قلبي هذا ولن تنتظم دقاته إلا عندما تقبلين بهذا الحب وتبادلينني إياه وتحررين قلبك من أوجاع الماضي وتمنحينه الحرية بأن يختار من يحبه بصدق. وأنا أتعهد أمامك الآن إذا قبلَ بحبي سأفعل كل شيء لأزيل منه الآلام والأحزان وأستبدلها بمشاعر معطرة بقطرات العشق والأخلاص.

شعرت ندى بإحساس غريب بداخلها عندما لمست يَدَّهُ يَدَهَا، إحساس تفتقده منذ أعوام كأن روحها تنسحب من جسدها، إحساس لم تنفر منه أو ترفضه، فكانت تنظر لعينيه كأنها تحت تأثير مخدر. لم تقدر على الحركة فتيبس جسدها واستسلمت له وتوقف عقلها فاستمعت إليه كأنها منوَّمة مغناطيسيًا. فأخرجت يدها من يده الدافئة الحنون ودمعت عيناها وقالت: أرجوك يا أحمد لا تشعرني بالذنب تجاهك أكثر من ذلك. دعني أذهب.

أحمد: آسف لو كان كلامي هو السبب لتدمع عيناك الجميلتان، فدموعك أغلى عندي من حياتي يا حبيبة قلبي.

تركته وركبت سيارتها وقادتها مسرعة لتبتعد عن ناظريه، ووقفت جانبًا بسيارتها وجلست تبكي وتبكي بشدة وتتذكر كل كلمة سمعتها حتى جفت الدموع من بين جفونها واستجمعت أنفاسها، ثم أكملت طريقها للبيت وهى تسأل نفسها: ماذا حدث لي؟ لماذا وصلتُ لهذه الحالة وفقدت السيطرة على تصرفاتي؟

لم أرد أن أضعف أمامه ويرى دموعي، فأنا إنسانة قوية ولم تؤثر بي كلماته قبل ذلك، ما الذي تغيَّر؟ هل فعلًا أحبه ولكن عقلي يخبئ هذا الإحساس ويقتله قبل أن يكبر ويتغلغل بقلبي؟ لم أعد أفهم نفسي.. أكرهه أم أحبه؟

وصلت ندى لمنزلها، وجلست لتناول الغداء مع والديها، ولاحظت وجود باقة من الأزهار موضوعة في زهرية على مائدة الطعام ألوانها حمراء فقط.

ندى: من أتى بهذه الورود الجميلة فإنها ليست الموجودة بغرفتي؟

الأم: جاء إلينا ضيف رقيق وذوقه رائع في اختيار الزهور التي يهديها إلينا؟

ندى: من هذا الضيف الرقيق إذًا؟

الأب: أتى إلينا أستاذ أحمد الحسيني ظهرًا لزيارتنا.

ندى: وماذا قال لكما أثناء وجوده؟ أرجوكما قصَّا عليَّ ما دار بينكم بالتفصيل.

الأم: ما بك يا ندى؟! اهدئي هنيهة وانتظري والدك ليكمل حديثه.

الأب: في البداية وبعد ضيافتنا له، والدتك قدمت له فنجانًا من القهوة بعد ما سألناه ماذا يشرب، قال إنه جاء ليرانا لأنه وعدنا بذلك المرة السابقة، ولكني انتظرته ليشرب فنجانه كاملًا ثم عاتبته على ما قاله لكِ عندما قابلتِهِ، فليس من حقه التدخل في حياتك والتطفل على أسرارك، وكان عليه أن يخبرنا برغبته بالارتباط بكِ ويحترم لقاءنا به فهو رجل ناضج ويعرف العادات والتقاليد.

الأم: اعتذر لنا كثيرًا على ماحدث وبرره بأنه يهتم بكِ ويريد أن يتقرب منك، وأخبرنا أنه يريد أن يرتبط بكِ بشكل رسمي ومعلن للجميع ويهمه معرفة رأينا وقبولنا به، واستأذن والدك ليذهب إليكِ في عملك ليعتذرلك ويترجاكِ أن تسامحيه وتغفري له.

ندى: ولِمَ لَمْ تخبراني بزيارته وتتصلا بي بعد ذهابه؟

الأم: كل شيء بوقته يا ابنتي، فأنت دائمًا منشغلة في عملك وعليك أعباء كثيرة فلا نريد أن نزعجك أو نشتت تفكيرك.

ندى: وما هو ردّك عليه يا أبي؟

الأب: احترمت صراحته، وقدرت مشاعره تجاهك، وقلت له إن القرار يعود لكِ، فهذه حياتك ولكِ حرية الاختيار بين القبول أو الرفض، وعندما تبلغينا برأيك سندعمه وتتوحد كلمتنا أمامه.

الام: أتمنى أن تغيري نظرتك للحياة يا ابنتي، وأن تريها بمنظور آخر مليء بالثقة والتفاؤل وتتمتعي بالهناء بكل مافيها مثل أي فتاة بعمرك يكون لكِ زوج يحبك وتحبينه وتنجبي أطفالًا يملأون حياتك بالسعادة والفرحة وترينهم يكبرون أمامك كالنبتة الصغيرة التي تنمو وتترعرع أوراقها، وتكون لكِ أسرتك الصغيرة مسؤولة عنها ومهتمة بها.

ندى: ما كل حماسك هذا؟ ما الجديد الذي حدث في حياتي تطلبين مني أن أغير قراري بعدم الزواج وأتخلى عن مبادئي بمجرد أن تقدم أحمد لخطبتي.

الأم: الجديد يا حبيبتي هو وجود شخص يحبك حبًّا حقيقيًّا بدون خداع أو تلاعب بمشاعرك؛ فقد كان واضحًا معنا ويريد الزواج منكِ في أقرب وقت ويفعل كل شيء لإرضائكِ والتقرب لقلبك، فهو أغنى منَّا بكثير وبالطبع لن يكون طامعًا بثروة والدك التي لا تساوي شيئًا أمام ممتلكاته وثرواته التي رأيتِها وتعلمينها بنفسك.

فأنا ووالدك عندما تحدثنا معه شعرنا بحبه يشع من داخل قلبه ويحيط بِنَا بكلامه عنك.

الأب: لي نظرة في الأشخاص يا ابنتي؛ فأشعر أنه شاب على قدرٍ كبيرٍ من المسؤولية ولن يتلاعب بمشاعرك أو يجرحك ويصدمك فيه. فيه كل المميزات والصفات التي تجعله زوجًا يليق بك.

ندى: أنتم أكثر الأشخاص الذين يعلمون ماذا حدث لي من قبل وما نتج عن خطبتي الأولى، فخدعت به عندما أوهمني بحبه الكاذب وكلامه المعسول وأنتما أيضًا أقنعكما كلامه واعتقدتما أنه سيفعل كل شيء ليسعدني عندما يرتبط بي وأنا منحته ثقتي قبل قلبي وسلمت له عقلي ولم أشعر بأنه كان يطمع في أموالي فقط ويتركني عندما يجد فريسة أخرى تعود عليه بالمنفعة أكثر منّي. خُدعت وتمزق قلبي من شدة صدمتي فيه بعد حبي وإخلاصي له، وتطلبون منّي أن أشعر بالحب ثانية وأبدأ حياة جديدة مع أحمد الذي دامت معرفتي به عامين؛ فخطيبي السابق عرفته طوال حياتي ولكنني لم أعلم بحقيقته إلا بعد ضياع سنوات عمري وشبابي بجانبه.

الأب: نعلم جيدًا ما مرَّ بك وما تذوقتِهِ من مرارة الخداع، ولست وحدك من تألم وصدم فنحن تألمنا مثلك، ولكن لا تعقدي أي مقارنة بين أحمد وخطيبك السابق فقد كان شخصًا انتهازيًّا ووصوليًا استغل براءة قلبك ليحقق مكاسب مادية من وراء ارتباطك به، ولكنك أصبحتِ أكثر نضوجًا، تمتلكين الخبرة الكافية لتحسني الاختيار وتفرقي بين الصدق والكذب.

الأم: أرجوك يا حبيبتي فكري جيدًا في كلامنا، فكل فتاة مصيرها الزواج والاستقرار في بيتها وليس الوحدة والبقاء دون زوج وأولاد؛ فنحن أعلم وأحرص منك بمصلحتك ونتمنى لك الخير.

وانتهوا من طعامهم، وقامت ندى من على المائدة لتغسل يديها، فإذا بها تضع رأسها تحت الصنبور وتضع الماء البارد على وجهها، ونظرت للمرآة وقطرات الماء تتساقطُ من شعرها على عينيها وقالت:

أريد أن أفيق من كل هذا؛ فالجميع يضغط عليّ ويجبرني على أن أحبه رغمًا عني، فقلبي مات ودُفن من زمنٍ وجسدي هذا يعيش لينتظر الكفن فقط. أحتاج لسرطان يهاجمني ويمزق جسدى وينهي حياتي لأرتاح وأريح من حولي.

فطرقت والدتها عليها باب الحمام وقالت: هاتفك يرن يا ابنتي.

ندى: اتركيه بغرفتي وسأخرج حالًا.

جففت شعرها ووجهها وتوجهت لغرفتها ونظرت في شاشة الهاتف لتعرف من الذي اتصل بها، فوجدت رقمًا غريبًا ليس مسجلًا بهاتفها. فرن مرة أخرى، فردت ووجدت أحمد من يتحدث إليها.

ندى: علمت بمجيئك لمنزلنا صباح اليوم.

أحمد: وهل علمتِ ماذا قلت لهما؟

ندى: نعم.. فكيف تطلب من أبي الزواج مني وأنتَ تعلم مشاعري تجاهك ورفضي لك.

أحمد: طلبت منه الزواج بكِ لأني أعلم مشاعرك تجاهي أكثر منك.. أنت تحبينني أيضًا وأرى ذلك كلما نظرتُ لعينيكِ.

ندى: أعجز أن أقول لك أي شيء، ولكنك تجري وراء سرابٍ، ومن قسوة القدر عليك يجعلك تتعلق وتحب فتاة أغلقت أبواب قلبها منذ سنوات طويلة وألقت بالمفتاح في بئر عميق لا يستطيع أحد الوصول إلى أعماقه وينجو بعدها، ومن حاول ذلك سيهلك وينتهي في ظلمته ودوامته.

أحمد: سأقدر على الخوض في أعماقه وسأنير ظلامه بنور قلبي العاشق لكِ، وسأواجه أي صعوبات وأي عقبات تقابلني وتحيل بيني

وبينك وأهدم كل الأسوار والجدران التي تفصل بين قلبي وقلبك. فأنا لست معتادًا على الفشل وأكره اليأس والهزيمة ولن أرضى بأن يحبطني أي شخص ويقلل من عزيمتي لكي يمنعني عن الوصول لهدفي.

واستمرت المكالمة على هذا الحال كأنها مناظرة بين اثنين، هو يقوم بالدفاع عن حبه وتمسكه بها وأنه سيظل يقاوم رفضها ويفعل كل شيء ليكسب قلبها وحبها، وهي مستميتة على موقفها وتبرر وتختلق أعذارًا وأسبابًا لرفضها لحبه. فحبه هذا محرمٌ عليها وعلى قلبها، وانتهت المكالمة وكل واحد منهما ثابت على موقفه لم يتنازل المحب عن حبه ولم تقبل الرافضة بحبه.

قام بإخبارها أنه سيسافر للندن في صباح الغد، وسيأتي في نهاية كل أسبوع ليلتقي بها ويراها ولكنه لن يمنع نفسه عن الاتصال بها كل يوم ورؤيتها في أحلامه كل ليلة فشوقه إليها خارج عن إرادته.

ولكن هل سيظل الحال ويبقى على ما هو عليه ولا أمل في ندى أن تتغير وتفتح قلبها للحب والحياة مرة أخرى وتشعر بصدقه وتمسُّكه بها؟ أم أنها ستتوه وتغرق في عملها ثانية ويبقى قلبها مغلقًا كغرفة مظلمة مليئة بالمخاوف والأحزان؟ وهذا ما قالته والدتها وسألتها عنه وانتظرت إجابتها، ولكن ندى لن تجيبها واكتفت بالصمت والتهرب منها بالنوم كالعادة وأغلّقت الباب وأطفأت الأنوار حتى لا يدخل أحد ويتحدث معها في هذا الموضوع.

استيقظت ندى صباحًا وهي تصرخ، فسمعت صراخها والدتها فجرت مسرعةً لغرفتها.

قالت لها: أعوذ بالله خير يا حبيبتي؟

نـدى: كابـوس.. رأيـت كابوسًـا مزعجًـا يكتـم أنفـاسي ويسـلب روحـي مـن جسـدي بـكل بـطء وألم، كنـت أريـد أن أخـرج منـه قبـل أن أمـوت ويقـضي عـليّ.

والدتهـا: لا تقـولي هـذا يـا ابنتـي، اسـتعيذي باللـه مـن الشـيطان الرجيـم ولا تفكـري بـه، فإنـه مجـرد حلـم.

نـدى: ليـس مجـرد حلـم، إنـه كابـوس ليسـت المـرة الأولى أراه في منامـي، فـكل فـترة يـأتي إليّ في نومـي، ولكـن هـذه المـرة كاد أن يقتلنـي.

والدتهـا: انهـضي يـا ابنتـي واغسـلي وجهـك، وسـأحضر لـكِ كوبًـا مـن الحليـب الدافـئ لتهـدئي قبـل ذهابـك للجريـدة.

نـدى: دمـاء كثـيرة يـا أمـي أسـبح فيهـا وأوشـك عـلى الغـرق وتقفـين أنـت بجانـب أبي بعيـدًا وجهكـما غـير واضـح الملامـح.. أسـتغيث بكـما لتنقـذاني وتخرجـاني مـن بحـر الدمـاء هـذا، ولكـن صـوتي مكتـوم بداخـلي لا أقـدر عـلى سـماعه وأنتـما واقفـان أمامـي ولكنكـما لم تريـاني أو تسـمعاني.

الأم: أعـوذ باللـه مـن الشـيطان الرجيـم، فهـذا مـن أفعالـه، ولكـن تغلبـي عليـه بقـراءة القـرآن أو سـماعه قبـل أن تنامـي حتـى يحفظـك اللـه مـن أي شرٍّ ولا تفكـري بهـذا الكابـوس أو تحكيـه لأحـد حتـى لا يتكـرر ثانيـةً.

نـدى: تفكـيري ينتابـه حالـة مـن الشـلل والتشـويش، لا أعـرف مـاذا سـيحدث لي وأشـعر بأننـي مقبلـة عـلى شيء غامـض وسـيلحق بي الـضرر.

الأم: لا تفكـري بهـذه الطريقـة فإنهـا مجـرد أوهـام لا وجـود لهـا. أنـت بخـير وسـتكونين بأفضـل حـال بـإذن اللـه تعـالى، ولـن يصيبـك أي مكـروه. سـأذهب لأحـضر لـكِ الحليـب الدافـئ.

نهضت ندى من سريرها لتستعد للعمل، ولكن يراوضها القلق والخوف من المستقبل لرؤيتها كل هذه الدماء، فشعرت بأن الموت يقترب منها ويجذبها إليه. أعطتها والدتها الحليب لتشربه وضمتها لصدرها الحنون لتشعرها بالأمان والطمأنينة. وذهبت ندى للجريدة، وأشياء كثيرة يجب أن تقوم بها، فلا وقت لديها للتفكير بأي شيء شخصي فيجب أن تكون صافية الذهن، ينتظر كتاباتها رئيس التحرير. انهمكت في الكتابة حتى شعرت بوخزة في رقبتها والقلم سقط من أصابعها فرجعت بظهرها للوراء لتلتقط أنفاسها وجلست لترتاح قليلًا قبل أن تلملم أوراقها وتدخل لرئيسها وتسلمه الموضوعات التي كلفها بكتابتها، ووجدت زميلتها غادة أمامها بيدها كارت ذهبي كبير، فابتسمت لها وقالت:

- هذه دعوة زفافي فإنه بعد ثلاثة أسابيع من اليوم.

ندى: مبروك.. أدعو الله أن يتمم لك على خير وتنعمي بحياة زوجية سعيدة إن شاء الله.

عانقتها غادة، وطلبت منها أن تأتي ولا تنسى موعد الزفاف وأنها ستكون ممتنة بوجودها ومشاركتها فرحتها في هذا اليوم. فوعدتها ندى بأنها ستأتي بالطبع.

غادة: عقبالك ياندى ويرزقك الله بالشخص الذي يستحقك، فأنت إنسانة طيبة ورقيقة. فابتسمت لها ندى وقالت لها: ستكونين أجمل عروسٍ في هذا اليوم.

وخرجت زميلتها من المكتب، وكانت ندى ممسكة بالدعوة تقرأ ما فيه من عبارات التهنئة والمباركة للعروسين وأنه سيكون أهم يوم

في حياتهما. ووضعت الدعوة في درج مكتبها وذهبت لرئيس التحرير وسلمته كل الموضوعات المطلوبة منها وقرأها وهي جالسة أمامه وأثنى عليها مثل كل يوم وقال لها: كالعادة متميزة ورائعة؛ فيوجد بداخلك طاقة كبيرة من الإبداع تملأ الكون كله بالمعرفة والثراء الأدبي. بالتوفيق والنجاح يا ابنتي.

فشكرته ندى كثيراً على هذا الإطراء وتشجيعه المستمر لها واستغلت هذه الفرصة بأن تطلب منه إجازة لمدة يومين فقط لترتاح وتستعيد وتستجمع طاقتها وأفكارها. وبالفعل سمح لها بالإجازة وقال لها إجازتك بدأت من الآن فيمكن لك الانصراف من الجريدة في أي وقتٍ تريدينه فرن هاتفها ووجدت اسم والدها فانقبض قلبها وقالت خيراً وردت عليه سريعا بكل لهفة:

- هل أنت بخير يا أبي؟

والدها: اهدئي حبيبتي، لِم تخافين هكذا أنا بخير والحمد لله.

ندى: غير معتادة على اتصالك بي وأنا بالعمل فلذلك قلقت.

والدها: والدتك أخبرتني بالكابوس الذي أزعجك في منامك اليوم، وعلمت بأنك كنت خائفة كثيراً وقلقة منه.

ندى: نعم يا أبي ولكني بخير الآن ولم أفكر به ثانية وأنهيت عملي وسأعود للبيت حالًا.

الأب: أقف أمام الجريدة. جئت لأطمئن عليك وكنت سأصعد لأراكِ؟

ندى: حسنا أنا سأنزل إليكِ.

وعندما رأته ابتسمت له وعانقته وقالت له: لماذا ترهق نفسك بمجيئك إلى هنا؟

والدها: أريد أن أجلس معكِ بمفردنا وأتحدث إليكِ في بعض الأمور فمر علينا الكثير من الوقت لم نجلس سويًّا في مكان عام.

ندى: إذًا اختر أي مكان تريد أن نذهب إليه.

والدها: سنذهب إلى مكانٍ يعشقه الملايين وليس أنا فقط.

فقاطعت ندى حديثه وقالت وهي تضحك: لأعلمه بكل تأكيد.. النيل.. وأنا أيضًا من عشاقه.

فذهبا إلى مطعم على ضفاف النيل الساحر وجلسا ينظران لروعته وجماله وقت الغروب وكيف يذوب قرص الشمس البرتقالي اللون ليودع الناظرين إليه. ويأتي مكانه القمر الساطع ضوءه ليضيء قلوب الحائرين والمغرمين.

ندى: افتقدت رؤية النيل كثيرًا واشتقت له وأنا بلندن، فأشعر عند جلوسي أمامه أنه يمتص كل ضعفي وخوفي بهدوئه وسكونه وثباته هذا. يمنحني الراحة النفسية والسلام الداخلي.

والدها: قلبك هذا رائع يا ابنتي يشعر بكل شيء جميل من حوله وينجذب له، ولكن عندما تسمحين له بذلك.

ندى: أفهم من نبرة صوتك هذه أنك تريد أن تحدثني عن شيءٍ آخر ليس متعلقًا بخوفي من الكابوس.

الأب: نعم يا صغيرتي، أردت التحدث معكِ عن خوفك من شيءٍ آخر وليس فقط من مجرد كابوسٍ عابرٍ في نومك اليوم.

ندى: تفضل يا أبي فإنني أسمعك.

الأب: سأتكلم بخصوص أحمد وطلبه للزواج بكِ. عندما أخبرتك بطلبه وزيارته لنا قلت لكِ إن القرار يرجع لكِ، ولكن دوري ومهمتي كأبٍ أَبٍ يحب ابنته الوحيدة ويريد مصلحتها أن أقول لكِ نصائحي بخصوص هذا الموضوع وبعد ذلك لكي حرية الاختيار.

أريدك يا ندى أن تعطي فرصة لقلبك ليشعر بحب أحمد لكِ دون تدخل عقلك وحساباته وقراراته في ذلك، فالقلب يا ابنتي هو مرآةُ الإنسان يعكس له كل شيء يراه ويظهره على حقيقته، فإذا كان أحمد صادقًا في حبه لكِ سيشعر قلبك الرقيق بهذا في الحال؛ ولكن اسمحي له أولًا وتخلي عن تقييده ومنعه عن التمييز بين الآخرين. أرى أنك تنظرين لكل الرجال بنفس النظرة وتلقين عليهم نفس التهم والافتراءات دون أي دليل أو إثبات، فإذا كان أحمد إنسانًا مخادعًا وكاذبًا ويريد أن يرتبط بكِ لأهدافٍ سيئةٍ في نفسه سيشعر قلبك وسيبعدك عنه بالفطرة ويرسل رفضه لعقلك، ويُحْسَمُ الأمرُ وقتها. الزهرة يا ابنتي تظل موجودة بمكانها في الحديقة ثابتة لا تتحرك، لا يراها إلا من يمر بجوارها وينظر إليها، فإذا كانت مُغْلِقَةً أوراقها على نفسها فلن تلفت انتباه أحد ولن يشعر المارون بجمالها وقدرة الخالق في صنعها. ولكن عندما تتفتح أوراقها وينعكس عليها شعاع الشمس الذهبي يسطع جمالها ويفوح عطرها وتجذب قلوب المارة وتمدهم بالأمل.

وأقصد من كلامي هذا أن تخرجي من قوقعتك وتتخلصي من ذيول الماضي وتلمسي جمال الدنيا وملذّاتها وتستمدي القوة والثقة

ممن حولك وممن يحبك. عيشي الحياة وانعمي بكل مافيها مثل أي فتاة في عمرك.

وفي تلك اللحظة التي كانت ندى تستمع لكلام والدها بكل تركيز وانتباهٍ؛ سرحت بخيالها بعيدًا ونظرت للنيل ورأت وجه أحمد في دائرة القمر المنير. وشعرت نفس الإحساس الذي أحست به عندما كان ممسكًا بيدها وهي تقف بجوار سيارتها، فابتسمت قليلًا..

ولاحظ والدها شرودها ووضع يده على يدها وقال: ما سبب ابتسامتك يا حبيبتي؟ أتمنى أن تكوني مبتسمة وسعيدة طوال الوقت.

فنظرت ليده ثم لوجهه سريعًا، وكانت محرجةً، ثم شربت القليل من الماء وقالت له:

سعيدةٌ طبعًا بالجلوس معك وأنت في كامل صحتك، وأتمنى أن تكون أمي معنا.

فابتسم هو الآخر وأدركَ أنها تتهرب من الرد عليه، وقال لها: سنأتي معًا قريبًا إن شاء الله، فكلنا نحتاج للجلوس أمام النيل وإلقاء كل همومنا به.

عادا سويًّا للبيت بعد أن وعدته ندى بأنها ستعيد التفكير في هذا الأمر بقلبها وليس بعقلها وستأخذ كلامه بعين الاعتبار. وأخبرها بموافقته على أحمد وقبوله به كزوج لابنته الوحيدة وهم في انتظار ردها في أقرب فرصة.

وقضت ندى إجازتها في البيت لا تفعل شيئًا سوى التفكير بكلام والدها وكان ينتهي يومها بمكالمة من أحمد ليطمئن عليها ويتبادلان الحديث عن عملهما أو يعلمها بأخبار أصدقائها في لندن وعن

أحوالهم. فكله كلام عادي وعام، فكان لا يريد أن يضغط عليها لكي لا تنفر منه وتبتعد عنه كالعادة. وحان موعد نزوله لمصر في نهاية الأسبوع وأخبرها بموعد وصوله. ودعاها للعشاء في مطعمٍ كبيرٍ وفاخرٍ بالزمالك. فترددت كثيراً أتذهب أم لا، وأخبرت والدتها بهذه الدعوةِ، فقالت لها: اذهبي يا ابنتي فإنه يريد التقرب إليكِ وهذا سيساعدك في تحديد موقفك تجاهه، فاقتنعت ندى بكلامها وذهبت للقائه.

كان أحمد ينتظرها أمام المطعم ليدخلا سويًّا، فكانت أجواء المكان مفعمة بالهدوء والرومانسية حيث الأضواء الخافتة والشموع المنثورة في كل أنحائه، وعازف البيانو كان يجلسُ وسط المطعم تحيط به موائد الجالسين وهو يطربهم بأرقٍّ وأحلى الألحان ويعزف أشهر وأجمل المقطوعات الموسيقية التى تعطر الوجدان وتريح القلوب الموجوعة وتشفي النفوس المريضة وتذيب جليد القلق والتوتر الذي يعيش بداخل ندى.. فانبهرت بهذا المكان الرائع وأبدت إعجابها به لأحمد وقالت: منذ سنوات طويلة لم أجلس بمكان هادئ وراقٍ هكذا.

أحمد: سعيد بأن اختياري له نال إعجابك. امنحيني الفرصة فقط، وأنا سأحقق لك كل ما تتمنينه.

فنظرت له وقالت: كيف عرفت بهذا المكان وأنت قضيت كل عمرك وحياتك بلندن؟

أحمد: دعاني صديق لي لتناول العشاء فيه مرة من المرات التي جئت إلى مصر فيها فوجدته مكانًا هادئًا ومتميزًا، وجذبتني هذه الأجواء الرومانسية التي لم أرها بأي مكان بلندن. وأريد أن أقول لك إنه يقدم أصنافًا من الطعام طيبة ورائعة المذاق، فاسمحي لي بأن أختار لكِ بعض من هذه الأصناف ستنال إعجابك كثيراً.

ندى: تفضل، ولكن لا تجعلني أندم أني تركت لك الاختيار.

أحمد: ثقي بي ولن تندمي على أي شيء أختاره لكِ.

وطلب من النادل بعض أصناف المأكولات الموجودة في قائمة الطعام، وبدأ بالفعل في تقديم الأطباق وأدوات المائدة والمشروبات الباردة وبعض المقبلات المتنوعة والشهية، وبدآ في تناول المقبلات، فعبرت ندى عن مذاقها الرائع فهي لم تتذوق مثلها في أي مكان. ثم أتى إليهم النادل مرة أخرى ليضع الأطباق الرئيسية أمامهم، ووضع في منتصف المائدة طبقًا مستديرًا من الزجاج المدعم وليس الشفاف وغطاؤه من الفضة الخالصةِ شديدة البريق واللمعان، فأثار انبهار ندى بشكله الجميل المتميز فهي لم ترَ مثله من قبل.

سألت أحمد: هل يضعون الطعام للجميع هنا في مثل هذه الأطباق الفضية باهظة الثمن؛ فمثل هذا الغطاء الفضي يجب ألَّا يلمسه أحد أو يوضع تحته أي طعام، فلا يجب أن يتسخ حتى.

أحمد: ماذا بك يا ندى؟! إنه مجرد طبق زجاجي وغطاؤه جميل فقط .

ندى: عادي!

ماذا قلت؟! طبق وغطاؤه جميل فقط.

ندى: لم أره مجرد طبق وغطاء، فمكانه ليس هنا على مائدة طعام، فيجب أن يوضع في صندوق زجاجي بمتحف عالمي لنراه من بعيد.

أحمد: لم أتوقع منك كل هذا الإعجاب فلديك نظرة مختلفة وعميقة تنظرين بها لأي شيء تقع عليه عيناك.

ندى: والآن من سينال شرف لمس الغطاء ورفعه لتناول ما بداخله؟

أحمد: أنتِ ستمنحين هذا الشرف للغطاء عندما تلمسينه بيدك الرقيقة هذه؟

قامت ندى برفع الغطاء الفضي عن الطبق الزجاجي الفاخر؛ ولكنها لم تجد بداخله أي طعام. وجدت فقط علبة صغيرة زرقاء من القطيفة.

ندى: ما هذه العلبة؟

أحمد: افتحيها لتعرفي بنفسك.

فرفعت حاجبيها قليلًا وأغمضت عينيها للحظات قليلة، وقالت وهي تحرك رأسها:

- أولًا أريدُ أن أفهم منك ماذا يجري الآن.

أحمد: قومي بفتح العلبة، وستجدين إجابة سؤالك بها.

فقامت بفتحها بكل هدوء وحذر، ووجدت بداخلها خاتمًا من الألماس انعكس بريقه على عينيها فلم تستطع رؤيته بوضوح من شدةِ لمعانه، ولكنها علمت أنه خاتم فأسرعت بغلق العلبة ووضعتها في الطبق الزجاجي ونظرت لأحمد تريد أن تسأله مِئَةَ سؤال وسؤال، فأخذ أحمد الخاتم من العلبة وأدخله سريعًا في إصبع ندى قائلًا لها: هذا خاتم زواجنا يا ندى سأتزوجك فهمتِ أم لا؟

فكانت صامتة مندهشة تنظر لأصبعها ولم تقدر على النطق بأي حرفٍ كأنها أصيبت بالشلل، ولكنه مستمر في كلامه وقوله «هل تسمعينني يا ندى؟ سأتزوجك رغم أنفك هذه، سأقولها للمرة الأخيرة وبأعلى صوت سأتزوجك شئتِ أم أَبَيْتِ.

أبعدت يدها عنه، وخلعت الخاتم من إصبعها ووضعته على المائدة وكادت تأخذ بحقيبتها لتهرب من أمامه ووقفت، ولكنه أمسك بيديها الاثنتين وقال لها: اجلسي يا ندى.

أمسك بهما بكل قوة، ليست القوة التي تعبّر عن قسوة أو عنف، ولكنها تعبر عن تمسك وتشبث الحبيب بحبيبه. قوة تنبعث من شخص يلفظ أنفاسه الأخيرة، تتعلق روحه بين الحياة والموت، ولكنه يتمسك بالحياة فلا يريد الابتعاد عن أحبابه.

أحمد: كفاكِ هروبًا منّي. أعلم ما بداخلك من حب وأعلم الصراع الذي يدور بين عقلك وقلبك وأنا الآن أحسم هذا الصراع وأضع نهاية لهذا التردد والخوف وأعلن فوز قلبك في آخر جولة في هذه المعركة. لن أتنازل عن حبي لكِ، ولن أقبل بأن تقتلي هذا الحب وتقضي عليه. امنحيني ثقتك ولن أخذلك وسأثبت لكي أنني جديرٌ بكِ. أرجوكِ ضعي الخاتم في إصبعك، فإن فعلتِ ذلك سأعتبره الشرارة التي تطلقينها لأبدأ مهمتي وأثبت حبي وإخلاصي لكِ. أرجوكِ يا ندى ضعي الخاتم في إصبعك وامنحيني السعادة والحياة للأبد.

ندى: لماذا تجبرني على هذه الخطوة الآن؟ لماذا لا تترك لي الفرصة للتفكير واتخاذ القرار سواءً بالرفض أو القبول؟

أحمد: سأمنحك فرصة الرفض أو القبول، ولكن بعد أن تمنحيني فرصة الارتباط بكِ بشكل رسمي والتقرب منك وأن أثبت لك أنني جديرٌ بك.

فقالت له ندى: لن أضع هذا الخاتم بإصبعي الآن لأنني لست معتادة أن أفعل شيئًا دون رغبتي أو رغمًا عني، فاتركني أذهب الآن

وخـذ هـذه العلبـة معـك، ودعنـي أتخـذ قـراري بنفـسي دون أي ضغـط، فأنـا أريـد أن أحـدد مشـاعري تجاهـك بمفـردي.

وانصرفـت نـدى وتركتـه جالسًـا ناظـرًا للخاتـم بـكل حـزن وأسى. وفكـرت كثـيرًا وهـي في طريقهـا، هـل هـي تحبـه وتنكـر ذلـك وتخفيـه عـن عقلهـا أم أنهـا لا تشـعر نحـوه بـأي حـب؟

إنهـا تكـون سـعيدة عندمـا تـراه وتجلـس معـه، ولكـن عندمـا يتركهـا ويفترقـان لا تشـعر نحـوه بـأي شـوقٍ أو لهفـة، فتحـب فقـط اهتمامـه بهـا وتشـعر بوجـوده أمامهـا عندمـا يلمسـها فقـط، لا تشـتاق إليـه في أي وقـتٍ أو تشـعر بالاحتيـاج لـه. بداخلهـا مشـاعر كثـيرة متناقضـة بـين الرفـض والقبـول فـماذا تفعـل؟ حائـرة مشـتتة ومـترددة لا تعلـم مـاذا تريـد ومـاذا تختـار، ولكـن والدتهـا لـن تتركهـا في هـذه الحـيرة كثـيرًا، فدائمًـا تجلـس معهـا لتقنعهـا أن مصـير كل فتـاة الـزواج وليـس الوحـدة، وسـيأتي اليـوم الـذي ترحـل فيـه هـي ووالدهـا مـن هـذه الدنيـا وسـتعيش بمفردهـا دون زوج وأولاد في هـذه الدنيـا القاسـية.

يريـدان الاطمئنـان عليهـا وضـمان مسـتقبلها كأي أبٍ وأم ليريـاهـا في بيتهـا سـعيدة ومسـتقرة وأحمـد زوج لا يعـوَّض، يحبهـا بـكل جنـون وسـيفعل كل مـا بيـده ليسـعدها، فوالدتهـا تقـول لهـا نفـس الـكلام ليـلًا ونهـارًا وظلـت تترجاهـا وتطلـب منهـا ألا تحرمهـا مـن رؤيتهـا عروسًـا بالفسـتان الأبيـض، فهـذا اليـوم تنتظـره وتتمنـاه منـذ ولادتهـا، وأن تـرى أحفادهـا يلعبـون أمامهـا ويمـلأون حياتهـم بهجـة وسـعادة.

فبعـد كل هـذا الإلحـاح قبلـت نـدى الارتبـاط بأحمـد وأخـبرت والدهـا بذلـك القـرار، ففرحـا كثـيرًا وانـشرح قلباهـما وتمنيـا لهـا السـعادة والهنـاء معه .

*قبِلت بحبه لأنني مفتقدة لكل المشاعر والأحاسيس التي تتمناها أي فتاة أن تشعر بها مع حبيبها. قلبي مظلم دائمًا دقاته متفاوتة ينبض فقط ليحيا هذا الجسد. قلبي كالمرآة المكسورة ترى الآخرين بصورة ضبابية غير واضحة، فقدت التمييز بين الخير والشر، ولكني سأثق في رأي واختيار أبي وأمي لي، ولن أعتمد على اختياري كي لا أندم مرة أخرى، فياليت أحمد يكون النور الذي يضيء قلبي الذي يملأه الظلام وأستمد من نار شوقه لي حرارة تذيب جمودي وبرودة مشاعري، أستمد منه بعض الأحاسيس التي يمكن أن تتغلغل داخل روحي الزاهدة وتعيد لها الحياة.

أراه فرصتي الأخيرة لأشعر بأنني أنثى، روح لا كائنٌ تحول لشيءٍ جامد ومتحجر.

سيكون أحمد بالنسبة لي العون والدعم لأعود مرة أخرى لنفسي وأشعر بدقات قلبي من جديد. لا أرى في ذلك أنني إنسانة أنانية أريد الارتباط به فقط لاستغلال حبه\ لي ومشاعره تجاهي؛ ولكنه سبيلي الوحيد في إحياء قلبي. أراه كالطبيب الذي يمتلك دوائي الوحيد ليأسي وتشاؤمي وعدم ثقتي بأي رجل.

فلم أجد علاجًا يداويني ويطهر روحي من الأحزان والأوجاع، سامحني يا أحمد لكني أحتاج لك ولحبك هذا لأحيا مرة أخرى؛ فبداخلي أصواتٌ كثيرة تكاد تقتلني. أنا مشتتة التفكير تائهة في صحراءِ الماضي لا أرى غير السراب أمامي، حتى لو كان وهمًا وأنا على علم به، سأجري نحوه لأخرج لأرض الواقع تاركةً كل ما تبقى بداخلي من الماضي

مـن غـدر وألم، سـأتركها شريـدة في هـذه الصحـراء تـذوب في رمـال الخيانـة والاسـتغلال بعيـدًا عـن دنيـاي الجديـدة، سـأرتبط بأحمـد لينـير قلبـي بحبـه فإنـه طـوَّق النجـاة بالنسـبة لي.

هـذا كان الـكلام الـذي قالتـه نـدى لنفسـها لتقتنـع بارتباطهـا بـه، وقـد طلبـت مـن والدهـا أن يخـبر أحمـد قبولهـا الـزواج منـه، فأبلغـه والدهـا بذلـك وفـرح أحمـد، ولكنـه كان ينتظـر نـدى تخبره بنفسـها، فاتصـل بهـا عـلى الفـور مـن شـدة سـعادته وقـال لهـا: الآن أنـا أسـعد إنسـان عـلى هـذا الكوكـب.. أحبـك بجنـون يـا نـدى، أعشـقك يـا حبيبـة قلبـي، وأعـدك بأنـك لـن تندمـي عـلى قـرارك هـذا مطلقًـا. سـأخبر والـدتي فإنهـا متشـوقة لسـماع هـذا الخـبر، وسـتأتي غـدًا لمـصر لنقـوم بخطبتـك وتقديـم خاتـم الـزواج. ولكـن قبـل أن أنهـي مكالمتـي أريـد أن أسـمع منـك كلمـة واحـدة سـتعطر قلبـي وتريحـه.

ندى: أرجوك لا تطلب مني شيئًا الآن واترك هذا للزمن.

أحمد: لن أضغط عليكِ، لكني لن أتوقف عن قولها طوال العمر.

أحبك أحبك أحبك

النهاية

بقلم رحاب علي خليل

نبذة عن الكاتبة

كاتبة صحفية، تكتب مقالات في إحدى الصحف المصرية الخاصة.

- من مواليد القاهرة.

- تخرجت من كلية الآداب قسم الإعلام جامعة عين شمس.

- «قتلني الحب» أولى أعمالها الروائية .

للتواصل مع الكاتبة عبر الإيميل:

- gogoo.2009@yahoo.com

قراؤنا الأعزاء.. تحقيقًا لحلم التواصل بين الكاتب والقارئ ودور النشر، والاهتمام بمعرفة رأيك دائمًا ننتظر أن تتواصل معنا لتقييم أعمالنا عبر الإيميل، أو عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، من أجل تحقيق حلم بناء جيل واعي ونثر بذور الثقافة بالمجتمع والمناداة بتنشئة عقول أساسها الثقافة والعلم.

مدير النشر: أسماء فخر الدين
شهرزاد للنشر والتوزيع

E-mail: shahrazadpub@gmail.com
facebook: Shahrazadpub
shahrazadpub2015
twitter: shahrazadpub

للشراء عبر صفحة البوك ستور الإلكتروني:
صفحتنا على الفيس بوك: **شهرزاد بوك ستور**